

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

محاضرات

في

مادة المدخل لدراسة الأديان

## مادة: مدخل لدراسة الأديان ( ١٤٠ )

### الزمن : محاضرة واحدة في الأسبوع

#### الأهداف:

- ١ - تعريف الطالب بعلم دراسة الأديان ومناهجه وأهم المؤلفات فيه.
- ٢ - تعريف الطالب بأن الدين عند الله الإسلام، وأنه الناسخ لجميع الديانات السابقة له، وأن من ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.
- ٣ - إثبات هيمنة القرآن الكريم على ما سبق من كتب ورسالات بأصول المنهج العلمي الصحيح وإدراك حفظ الله تعالى له إلى يوم القيامة، مع تقرير مظاهر التحريف لما سبق من كتب سماوية على أيدي الأتباع ومعرفة دواعي ذلك.
- ٤ - تنمية ملكة الطالب النقدية من خلال مناقشة النظريات المادية في نشأة الدين ودعوى زمالة الأديان وبيان فسادها.
- ٥ - إمام الطالب بموقف المسلم حيال الأديان المعاصرة الكتابية والوضعية.

#### مضردات المنهج:

- ١ - مقدمة: تعريف الدين والملة والنحلة.
- ٢ - نشأة علم دراسة الأديان وجهود علماء المسلمين فيه.
- ٣ - مناهج دراسة الأديان، وأهم المؤلفات فيها، مع بيان أهم السمات العامة للمنهجين الإسلامي والغربي في مقارنة الأديان.
- ٤ - أصالة التوحيد وفطريته.
- ٥ - الوحي المنزل.
- ٦ - ضرورة الدين للحياة البشرية.
- ٧ - مناقشة النظريات المادية في نشأة الدين.
- ٨ - الكتب السابقة المنزلة على الرسل ووقوع التحريف فيها.
- ٩ - نسخ الإسلام لجميع الرسالات السابقة، وشموله وهيمنته عليها (خصائص الدين الخاتم).

- ١٠ - دعوى زمالة الأديان ومناقشتها.
- ١١ - موقف المسلم من الأديان المعاصرة (الكتابية والوضعية).

#### المرجع الأساسي:

- ١ - دراسات في الأديان، د. سعود الخلف.

#### المراجع:

- ١ - الدين: د. محمد عبد الله دراز.
- ٢ - الإسلام وحاجة الإنسانية إليه: د. محمد يوسف موسى.
- ٣ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٤ - إظهار الحق: رحمة الله الهندي.

## معنى الملل والنحل

التحريف:

أ- المعنى اللغوي:

الملل والنحل: مفردهما: ملة ونحلة.

والمِلَّة بكسر الميم: السنة والطريقة، وفي التنزيل العزيز ﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ . قال أبو إسحاق: ملتهم في اللغة: سنتهم وطريقهم.

وتملل وامتل دخل في الملة، والملة الشريعة والدين<sup>(١)</sup>.

والنحلة بالكسر الدعوى، يقال: انتحل فلان شعر فلان أو قول فلان إذا ادعى أنه قائله.. وفلان ينتحل مذهب كذا إذا انتسب إليه، ويقال: ما نحلتك: أي ما دينك<sup>(٢)</sup>.

ب- المعنى الاصطلاحي:

الملة هي الدين الذي شرعه الله عزَّ وجلَّ لعباده على لسان أنبيائه<sup>(٣)</sup>.

قال أبو يعلى: (الملة يعبر بها عن الدين)<sup>(٤)</sup>. قال تعالى: ﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾

(١) اللسان، مادة (ملل) (١١ / ٦٣١).

(٢) اللسان، مادة (نحل) (١١ / ٦٥).

(٣) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص (٤٧١).

(٤) مسائل الإمامة لأبي يعلى ص (٤٣٥٠).

أي دينهم، ومنه قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقال الشهرستاني: (الدين هو الطاعة)<sup>(١)</sup>.

والنحلة هي المعتقد الذي وضعه البشر، وليس له أصل شرعي بل بُني على مجرد الادعاء والانتحال.

ويقرر الشهرستاني هذا المعنى بقوله: العالم من حيث عقائده وأديانه ينقسم قسمين:

١- أهل الديانات والملل: كالمسلمين، واليهود، والنصارى.

٢- أهل الأهواء والنحل: كالدهرية، والصابئة، والبراهمة، وعبد الأوثان<sup>(٢)</sup>.

ووجه ذلك في نظره:

إن الإنسان إذا اعتقد عقيدة، أو قال قولاً فإما أن يكون فيه مستفيداً من غيره (يعني مستفيداً من رسول) أو مستبداً برأيه.

فالمستفيد من غيره (يعني المتبع للرسول) مسلم مطيع وهم أصحاب الملل والديانات. القائلون بالنبوات.

والمستبد برأيه محدث مبتدع، وهم أصحاب النحل المنكرون للنبوات، مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة<sup>(٣)</sup>.

قلت لكن المراجع للفظ ملة في كتاب الله سبحانه يجد أنها وردت

(١) الملل والنحل (١/٣٧).

(٢) انظر: الملل والنحل (١/١٢ - ١٣).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/٣٧ - ٣٨).

بالمعنيين فأطلقت على (المستفيد من غيره)، و(المستبد برأيه).

قال سبحانه حكاية عن نبيه يوسف - عليه السلام - : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٧) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿ [يوسف: ٣٧-٣٨]. فأطلق "الملة" على المعنيين.

ومن استخدام "ملة" بمعنى الدين الحق قوله سبحانه: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨].

ومن استعمالها بمعنى الدين الباطل قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ١٣].

فتخصيص "ملة" بأهل الديانات السماوية اصطلاح خاص بالشهرستاني، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن المشهور لدى الأئمة - كالإمام أحمد وغيره - استعمال لفظ ملة بالمعنى العام، أي على الديانات السماوية وعلى النحل البشرية. هذا وقد قال الراغب: "بأن الملة لا تكاد تضاف إلا إلى الأنبياء، كما قال

تعالى: ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨] (١).

قلت: قد جاء إضافة الملة إلى غير الأنبياء في القرآن كما في قوله سبحانه:

﴿..حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ... ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وقوله: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ٣٧].

أما سبب تسمية الدين ملة - في نظر بعض أهل العلم - فهو لأن الملك يمليه على الرسول ﷺ وهو يمليه علينا<sup>(١)</sup>. فهو يلحظ في اللفظ معنى الإملاء وفي القرآن ﴿وَلِيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وتقول أمملت الكتاب بمعنى أمليتته، وأرجعه بعضهم إلى معنى الجمع.

قال الجرجاني: "أما الشريعة من حيث تطاع تسمى ديناً، ومن حيث تجمع الناس تسمى ملة"<sup>(٢)</sup>.

هذا وينبه صاحب المنار إلى أن لفظ الملة يُراد به أصل الدين وجوهره دون ما يتبع ذلك من الشرائع وتفصيل الأحكام، ومنه قول العلماء: الكفر ملة واحدة، مع الجزم بأن شرائع الكفار مختلفة ومتعددة<sup>(٣)</sup>.

أما النحلة فهي مختصة بما ذكره الشهرستاني، فهي اسم لما ابتدعه البشر من عقائد وأديان، ويشهد لهذا: المعنى اللغوي للنحلة كما سبق، لكن لم يرد لفظ النحلة في القرآن بهذا المعنى، أمّا قوله سبحانه: ﴿وَأَتَوْنَا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤]، فهي بمعنى عطية<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى ورد في السنة أعني بمعنى العطية<sup>(٥)</sup>، ولكن جاء المعنى الاصطلاحي للنحلة في السنة من قول أبي قلابة: "إن أهل الأهواء وأهل الضلال ولا أرى مصيرهم إلا النار فجرهم فليس

(١) البيجوري: تحفة المريد ص (١٢).

(٢) التعريفات للجرجاني ص (١٤١ - ١٤٢)، المعجم الفلسفي ص (٨٦).

(٣) تفسير المنار (٤١٨/٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٤١/٤).

(٥) انظر: الأحاديث في ذلك في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، مادة (نحل) (٣٧٨/٦).

أحد منهم ينتحل قولاً، أو قال حديثاً فيتناهى به الأمر دون السيف" (١)

قلت: وبالتأمل فيما جاء في كتب اللسان وأقوال أهل العلم في معنى الملة والنحلة يمكن أن يقال بأن الملة إذا دخلت عليها أل [الاستغراقية] فهي مخصصة بالدين الذي شرعه الله وأنزله على أنبيائه ومن هنا قال الراغب فإن الملة لا تكاد يضاف إلا إلى الأنبياء والمرسلين.

وإن تجردت من أل فهي بحسب ما تضاف إليه فقد تطلق على الدين المنزل وقد تطلق بمعنى النحلة.

ويراد بالنحلة: الأهواء والدعاوى التي اخترعها البشر وجعلوها لهم ديناً وليس لها أصل سماوي.

\* \* \*

(١) سنن الدارمي: المقدمة ص (٤٥).



## تعريف الدين

### الدين في اللغة:

مشتق من الفعل الثلاثي دان وهو تارةً يتعدى بنفسه ، وتارةً باللام ، وتارةً بالياء ، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به .  
- فإذا تعدى بنفسه يكون : « دانه » بمعنى ملكه ، وساسه ، وقهره وحاسبه ، وجازاه .

- وإذا تعدى باللام يكون : « دان له » بمعنى خضع له ، وأطاعه .  
- وإذا تعدى بالياء ، يكون « دان به » بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده وتخلق به ، واعتقده<sup>(١)</sup> .

فيظهر من هذا أن الدين يتضمن علاقةً بين اثنين فيها انقيادٌ وخضوعٌ وتسلسلٌ وقهر من أحدهما للآخر /

### الدين في الاصطلاح:

اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كلُّ إنسانٍ حسب مشربه ، وما يرى أنه من أهمِّ مميزات الدين .  
فمنهم من عرفه بأنه « الشرع الإلهي المتلقى عن طريق الوحي » ، وهذا تعريف أكثر المسلمين .

ويلاحظ على هذا التعريف قصره الدين على الأديان السماوية فقط ، مع أن

(١) انظر : لسان العرب ( ٢ / ١٤٦٧ ) ، وانظر : كتاب « الدين » محمد عبد الله دراز ص ٣٠ -

الصَّحِيحَ أَنْ كُلَّ مَا يَتَّخِذُهُ النَّاسُ وَيَتَعَبَّدُونَ لَهُ فَهُوَ دِينٌ ، سِوَاءَ كَانَ سَمَاوِيًّا ،  
أَوْ غَيْرِ سَمَاوِيٍّ ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ  
مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [ آل عمران : ٨٥ ] .

وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [ الكافرون : ٦ ] ، فَسُمِّيَ مَا عَلَيْهِ  
مَشْرُكِي الْعَرَبِ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ دِينًا .

أَمَّا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ فبَعْضُهُمْ يَخْصُصُهُ بِالنَّاحِيَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ كَقَوْلِ « كَانَتْ » : بِأَنَّ  
الدِّينَ هُوَ الْمَشْتَمَلُ عَلَى الْإِعْتِرَافِ بِوَأَجِبَاتِنَا كَأَمْرِ الْهَيْئَةِ .

وبعضهم يَخْصُصُهُ بِنَاحِيَةِ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ ، كَقَوْلِ « رُودَلْفِ إِيوَكِن » : « الدِّينُ  
هُوَ التَّجْرِبَةُ الصُّوفِيَّةُ الَّتِي يُجَاوِزُ الْإِنْسَانَ فِيهَا مُتَنَاقِضَاتُ الْحَيَاةِ »<sup>(١)</sup> .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّعْرِيفَاتِ الَّتِي نَظَرْتُ إِلَى الدِّينِ مِنْ زَاوِيَةٍ . وَتَرَكْتُ أَوْجَهَا  
وَزَوَايَا عَدَّةً .

وَأَرْجَحُ التَّعْرِيفَاتِ أَنْ يُقَالَ :

الدِّينُ : هُوَ اعْتِقَادُ قَدَاسَةِ ذَاتِ ، وَمَجْمُوعَةُ السُّلُوكِ الَّتِي يَدُلُّ عَلَى  
الْخُضُوعِ لِتِلْكَ الذَّاتِ دُلًّا وَحُبًّا ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً .

فَهَذَا التَّعْرِيفُ فِيهِ شُمُولٌ لِلْمَعْبُودِ ، سِوَاءَ كَانَ مَعْبُودًا حَقًّا . وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ ، أَوْ مَعْبُودًا بَاطِلًا وَهُوَ مَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

كَمَا يَشْمَلُ أَيْضًا الْعِبَادَاتِ الَّتِي يَتَعَبَّدُ النَّاسُ بِهَا لِمَعْبُودَاتِهِمْ سِوَاءَ كَانَتْ  
سَمَاوِيَّةً صَّحِيحَةً كَالْإِسْلَامِ ، أَوْ لَهَا أَضَلُّ سَمَاوِيٍّ وَوَقَعَ فِيهَا التَّحْرِيفُ وَالتَّسْخِخُ

(١) انظر هذه التعريفات في كتاب « الإنسان والأديان » للدكتور محمد كمال جعفر ص ١٦ - ١٨ .

وانظر للاستزادة كتاب الدين د . محمد دراز ص ٣٣ - ٣٦ .

كاليهوديّة ، والنصرانيّة .

أو كانت وضعيّة غير سماويّة الأصل كالهندوكيّة ، والبوذيّة وعموم الوثنيّات .  
كما يبرز التعريف حال العابد إذ لا بد أن يكون العابد متلبّساً بالخضوع ذلّاً  
وحنّاً للمعبود حال العبادة ، إذ ذلك أهم معاني العبادة .  
ويبيّن التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة ، وهو إمّا رغبةً أو رهبةً ، أو  
رغبة ورهبة معاً ؛ لأنّ ذلك هو مَطْلَب بني آدم من العبادة . والله أعلم .

○○○○

## الأصل في مشروعية دراسة المثل والنحل

الأصل في ذلك: الكتاب والسنة.

فقد أخذ عرض الأديان من كتاب الله سبحانه آيات عدة<sup>(١)</sup>.

فقد ذكر الله سبحانه اليهود بل صرح بمعتقداتهم الشنيعة ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]... إلخ.

كما ذكر النصارى والمشركين والصابئة والدهرية وبين كفرهم وما هم عليه من ضلال. وقد صنفت مصنفات عن الفرق من خلال القرآن<sup>(٢)</sup>.

والسنة جاءت بمثل ذلك. وقد كتب بعض الباحثين رسالة علمية في مجلدين عن اليهود من خلال السنة<sup>(٣)</sup>، والمكتبة الإسلامية بحاجة إلى كتب تستقي مادتها من هذه الموارد الصافية..

وكان بعض صحابة رسول الله ﷺ قد خص الشر وأهله بأسئلته.

قال حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله

عن الشر مخافة أن يدركني"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تفصيل آيات القرآن الكريم.

(٢) مثل: الأديان في القرآن، واليهود في القرآن... إلخ.

(٣) وهو د. عبد الله الشقاري.

(٤) جزء من حديث رواه البخاري (٨/٨٦)، ومسلم (٢/١٤٧٥).

وقد أخبره الرسول ﷺ بمعالم الفتن ومراحلها<sup>(١)</sup>، ولذلك كان ﷺ يقول: "والله إني لأعلم الناس بكل فتنة"<sup>(٢)</sup>.

ولا ريب أن كشف النحل الباطلة والأهواء المضلة والمذاهب الفاسدة هو تبيين لسبيل المجرمين، وإذا سلك مؤلفه المنهج الشرعي في بيانه فهو من تحقيق قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

قال القرطبي: "وإذا بان سبيل المجرمين، فقد بان سبيل المؤمنين"<sup>(٣)</sup>، فبضدها تتميز الأشياء، وقد لا يعرف قدر الحق وعظمته من لم يعرف ضالة الباطل وخسته، ولذلك أثر عن عمر "إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

\* \* \*

(١) انظر ذلك في البخاري ومسلم من الموضوعين السابقين.

(٢) رواه مسلم (٤/٢٢١٦).

(٣) تفسير القرطبي (٦/٤٣٧).

## أهمية دراسة الملل والنحل والفرق

لأهميتها وجوه كثيرة، لعل من أبرزها ما يلي:

أولاً: نتعرف عليهم لنسلم مما وقعوا فيه، وقد أمرنا أن نسأل الله الهداية للصراط المستقيم والسلامة من طريق المغضوب عليهم (وهم اليهود) والضالين (وهم النصارى)<sup>(١)</sup>، وكذا من سلك مسلكهم وتشبه بهم من أهل البدع من هذه الأمة. فإن من فسد من عبادنا فقد شابه الضالين النصارى، ومن فسد من علمائنا فقد شابه اليهود المغضوب عليهم، كما ذكر ذلك طائفة من السلف<sup>(٢)</sup>. ولذلك كان في الفاتحة "الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل، والرد على أهل البدع والضلال"<sup>(٣)</sup>.

وقد بين وجه ذلك الإمام ابن القيم على سبيل الإجمال والتفصيل<sup>(٤)</sup>. ويمكن أن يستدل لهذا الوجه بقول حذيفة: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني"<sup>(٥)</sup>. قال الاسفراييني: وإنما كان يفعل لتصح له مجانبته؛ لأن من لم يعرف الشر يوشك

(١) ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون". [شرح الطحاوية ص (٦٢٧)]، وانظر: الروايات في ذلك في تفسير الطبري (١/ ١٨٥)، وما بعدها، وانظر تخریج أحمد شاكر لها في الموضوع نفسه، والترمذي (٢٩٥٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٣٧٨ - ٣٧٩)، قال ابن أبي حاتم: "لا أعلم فيه خلافاً للمفسرين" [روح المعاني (١/ ٩٦)].

(٢) شرح الطحاوية ص (٦٢٧ - ٦٢٨).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٨٥)، التفسير القيم لابن القيم ص (٤٩).

(٤) ينظر: المصدرين السابقين في المشار إليهما وما بعدها.

(٥) سبق تخریجه.

أن يقع فيه<sup>(١)</sup>.

هذا وقد أثر عن عمر رضي الله عنه أنه قال: "إنما ينقض الإسلام عروة عروة، من عرف الإسلام ولم يعرف الجاهلية؛ لأن معرفة الشر سبب للحذر منه، كما أن معرفة أسباب المرض وسيلة للوقاية منه.

وقد قيل:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه<sup>(٢)</sup>

ثانياً: نتعرف عليهم لدعوتهم إلى دين الإسلام، وإنقاذهم من مهاوي الضلال ودركات الضنك والشقاء ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة. وأنت إذا عرفت معتقداتهم أمكنك - مع ما معك من نور الحق - بيان فسادها لهم وتعريفهم بمخالفتها للعقول ومخالفاتها للفطر وبيان الحق لهم، ودعوتهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فالحق ثابت والباطل زهوق، والحق أبلج، والباطل لجلج، ولا يثبت الظلام أمام النور، وإذا عرض الحق بأدلتته الظاهرة فلا يخفى صحته على أحد وإذا أزيل اللبس عن الباطل فلا يخفى بطلانه على أحد؛ ولذلك كان من أخطر أبواب التضليل التلبس والكتمان وهما في الأصل بضاعة يهودية قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ

(١) التبصير في الدين للاسفرائيني ص (١٤).

(٢) انظر: المصدر السابق ص (...).

وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿ [البقرة: ٤٢] ومن أظهر علامات الباطل الاختلاف والتناقض قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].  
ولذلك فإن رؤساءهم يأمرونهم بالتسليم الأعمى للمعتقدات المخالفة للعقل: "أغلق عقلك واعتقد".

جاء في كتاب يهودي اسمه (كرافت) مطبوع في سنة ١٩٥٠: ".... إذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله". لأن أقوالهم هي قول الله الحي<sup>(١)</sup>.

وجاء في نصوص الروافض الذين ساروا في طريق يهود: "إذا قال لك الإمام إن الليل نهار أو النهار ليل فلا تكذبه"<sup>(٢)</sup>.

"إن حديثنا تسمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم"<sup>(٣)</sup>. وقد عقد شيخهم الكليني في الكافي باباً بعنوان "باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب"<sup>(٤)</sup>، ومثله فعل صاحب البحار<sup>(٥)</sup>.

ولو تفرغ باحث لجمع المعتقدات الممتنعة في بدائه العقول مما افتراه نصارى ويهود وغيرهم ومن سار على طريقهم الخرافة ورأى اتساع ضخامة الأسطورة والذي لا يدركه كثير من الأرتباح<sup>الأصابع</sup> لأن التخرب<sup>التخريب</sup> والتعصب للمعتقدات يلغي

(١) الكنز المرصود ص (٥٢).

(٢) انظر: البحار (٢/ ٢١١ - ٢١٢).

(٣) البحار (٢/ ١٩٢).

(٤) أصول الكافي (١/ ٤٠١ - ٤٠٢) ..

(٥) انظر: بحار الأنوار، باب أن حديثهم عليهم السلام صعب مستصعب.. (وقد ذكر فيه ١١٦

- حديثاً من أحاديثهم (٢/ ١٨٢ - ٢١٢).



وظيفة العقل ويشل حركة التفكير.

أما في دين الله عزَّ وجلَّ الذي جاء به أنبياء الله ورسله فلا يمكن أن يخالف النقل الصحيح عنهم العقل الصريح، فهو الدين الموافق للمعقول المتفق مع الفطر والمسعد لجميع البشر الذي يصلح الله عزَّ وجلَّ به العباد والبلاد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

إذن معرفة هذه المعتقدات طريق لدعوة أتباعها إلى الحق والدعوة إلى الله واجبة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويمكن أن يستدل على ذلك بقول رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن "إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب.. إلخ" فأخبره بمعتقداتهم ودينهم ليسلك السبيل المناسب في دعوتهم والتدرج الحكيم في بيان الحق لهم، كذلك لا سبيل للحكم على معتقداتهم إلا بمعرفتهم لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

إذن دراسة الملل والنحل لفئة من هذه الأمة لازمة لتوقف تحقيق ذلك الواجب الدعوي العظيم على معرفتها، فلا بد من تفرغ دعاة متخصصين لكل طائفة ينتشر مذهبها ويعم ضلالها لدراسة مذهبهم وتعرية باطلهم وإبلاغ الحق لهم بالوسائل المختلفة المشروعة.

ثالثاً: ومعرفتهم وسيلة لاتقاء شرهم وكشف خططهم وفضح مؤامراتهم، ودرء فتنهم عن المسلمين ولا سيما أن من مبادئ وطقوس طوائف عديدة منهم: التقرب لمعبوداتهم بأذى المخالفين وبالأخص المسلمين.

بل ذهب بعض الباحثين الأوربيين أن طائفة واحدة من هذه الطوائف وراء معظم الحروب والفتن التي تجري في حياة البشر، بل يبالغ فيقول إنهم

وراء كل جريمة، ويحكم بذلك بعد دراسة استمرت قرابة أربعين سنة، يقول:  
 "إذا كان ما سأكشف عنه الستار فيما يلي سيثير دهشة واستغراب من سيقراً  
 هذه الأسطر فإني لأرجو من القارئ ألا يشعر بمركب النقص حين أعلن له  
 بصراحة أنني شرعت في العمل منذ عام ١٩١١م مستهدفاً الوصول إلى كنه  
 السر الخفي الذي يمنع الجنس البشري من أن يعيش بسلام وينعم راغداً  
 بالخبرات الوثيرة التي منحها الله لنا؟

ولم أستطع النفاذ إلى قلب هذا السر أخيراً حتى عام ١٩٥٠م فعرفت أن  
 الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا والفوضى التي تسيطر على عالمنا ليست  
 جميعاً - دونها أي سبب آخر - سوى نتائج مؤامرة شيطانية مستمرة"، يقوم بها  
 أبالسة اليهود وشياطينهم، ولذا يحكم بأن اليهود وراء كل جريمة".

ونرى الرفضة التي سارت في طريق يهود تدعو صراحة في كتبها

(١) وليام غارى كار: أحجار على رقعة الشطرنج ص (٧). هذا ولا يوافق بعض الباحثين على  
 هذا كالأستاذ محمد قطب الذي يذهب في كتابه مذاهب فكرية معاصرة، إلى أن اليهود ليسوا وراء  
 كل جريمة، بل هم يستغلون الأحداث ويوظفونها لصالحهم، ويبدو أن هذا الرأي من الأستاذ  
 محمد ردة فعل لرأي كار، وإلا فكيف ينفي دورهم في صنع بعض الأحداث والتاريخ والواقع  
 يشهدان بذلك وكتاب الله سبحانه قبل ذلك كله يؤكد هذه الحقيقة وأنهم يوقدون أتون الحروب  
 والفتن والمؤامرات، ولذلك أقول: إن اليهود قد ينشئون الأحداث ويستغلونها لتحقيق أهدافهم  
 كما أنهم قد ينشئونها ولا ينجحون في تحقيق مآربهم منها ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾  
 كما أنهم قد يستفيدون من أحداث صنعها آخرون، ويشهد لذلك كله مبادئ تلمودهم وبرتكولات  
 شياطينهم، والتاريخ والواقع.

المقدسة إلى قتل المسلمين وسلب أموالهم وانتهاك أعراضهم يقولون: "مال الناصب" وكل شيء يملكه حلال"<sup>(١)</sup>.

وقالوا: "الناصر حلال الدم ولكن اتقى عليك فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل"<sup>(٢)</sup>.

هذا وثمة آفاق كبرى وثمرات أخرى لدراسة هذه المادة من معرفة قدر النعمة المسداة والمنحة المهداة من رب الأرض والسموات، وإدراك عظمة هذا الدين ومحاسنه؛ إذ بضدها تتميز الأشياء إلى الرد على شبهاتهم والجواب الصحيح على تبديلهم"<sup>(٣)</sup>، وإظهار الحق لهم"<sup>(٤)</sup>، وبذل الجهود لإفحامهم"<sup>(٥)</sup>، وإقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) يطلق الناصب عندهم على أهل السنة والزيدية المعتدلين، فقد جاء في نصوصهم: "إن الناصبي من يقدم أبا بكر على علي". انظر: السرائر لابن إدريس ص (٤٧١) وسائل الشيعة للعالمي (٦/ ٣٤١ - ٣٤٢)، بشارة المصطفى لشيخهم الطبري ص (٥١)، المحاسن النفسانية ص (١٣٨). وجاء أيضاً: "إن الزيدية (وهم شيعة معتدلون بالنسبة للرافضة باستثناء طائفة منهم هي الجارودية) هم النصاب". رجال الكشي ص (٢٢٨ - ٢٢٩).

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي (٢/ ٤٨)، وسائل الشيعة للعالمي (١١/ ٦٠).

(٣) علل الشرائع ص (٢٠٠)، وسائل الشيعة (١٨/ ٤٦٣)، بحار الأنوار (٢٧/ ٢٣١).

(٤) إشارة إلى كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية.

(٥) إشارة إلى كتاب إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

(٦) إشارة إلى كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود للسمو آل (كان يهودياً فأسلم).

إن المتأمل يدرك أن "علم الملل" لم يلق الاهتمام الكافي من قبل الباحثين المسلمين ولا العناية التي بذلوها في كثير من العلوم الشرعية، بل وغير الشرعية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى كون بعض الباحثين وطلبة العلم الشرعي يشعرون بشيء من التحرج من هذا العلم، نظراً أن المشتغل فيه يتعرض لقراءة كتب أهل الكتاب، وكتب أهل الملل الأخرى كالجوسية، وذلك لمعرفة ما فيها حتى يكون عند نقدها على علم وبصيرة، ويكون رده عليها رداً مبنياً على أسس علمية وذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

وقد يصل الأمر إلى أن يناظر ويجادل الكفار، فيرتب من ذلك الاحتكاك بهم، والاجتماع معهم في مجالس المناظرات ومؤتمرات الحوار.

هدية عمر  
اشكالك  
وجوابه  
يسئل  
في مشروعة  
الأطلاح  
علم الملل  
الإدانة

و منشأ هذا التحرج هو النصوص التي تدل على النهي عن قراءة كتب أهل الكتاب أو النهي عن الجدل في الدين والحجاج فيه. ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن عمر الخطاب - رضي الله عنه - أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال: «أمتهوكون<sup>(١)</sup> فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بما بيضاء نقية، لا الإدانة تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو يباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»<sup>(٢)</sup>.

وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب؟ وقد حدثكم الله، أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله، وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>، أفلا ينهاكم بما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»<sup>(٤)</sup>.

(١) التهوك كالتهور: وهو الوقوع في الأمر بغير روية والتهوك الذي يقع في كل أمر وقيل هو التحير انظر: النهاية في غريب

الحديث والأثر لأبي سعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ٢٨٢/٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/٣٧٦ - ٣٧٧.

(٣) سورة البقرة الآية: ٧٩.

(٤) أخرجه البخاري الحديث رقم ٢٦٨٥ انظر الفتح ٥/٣٤٤.

ودلالة حديث جابر على النهي عن قراءة كتب أهل الكتاب التي لها أصل صحيح واضحة فضلاً عن غيرها من الكتب التي يكتبها أهل الأوثان فلاشك أن النهي عنها أشد ، وغضب الرسول ﷺ له دلالة ، إذ الرسول ﷺ لا يغضب إلا عند انتهاك محارم الله تعالى وحصول مخالفة عن أمر الله سبحانه . وكذلك يظهر من الأثر شدة نكير الصحابة على الذين يقرأون أو يسألون عن أهل الكتاب ، إذا هذه النصوص دلت على وجوب الاقتصار بالكتاب والسنة . ويفهم من هذا المنع عن قراءة الكتب غير الإسلامية والنظر فيها . .

والسؤال الآن: كيف نوفق بين هذه النصوص وبين ما ورد عن النبي ﷺ أنه أجاز من التحديث عن أهل الكتاب بقوله: «بلغوا عني ولو آية: وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup> وكذلك ما ثبت أن السلف الصالح - رضوان الله عليهم - كانوا يقرأون النصوص من كتب أهل الكتاب وينقدونها . وثبت أن الصحابة كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام بعض القصص والأخبار الماضية<sup>(٢)</sup> .

[ نقول إنه لا تعارض بين النصوص ؛ وذلك أن النهي الوارد كان في مبدأ الإسلام وقبل استقرار الأحكام والإباحة بعد أن عرفت الأحكام واستقرت ، وذهب خوف الاختلاط<sup>(٣)</sup> يقول الحافظ ابن حجر في هذا: «وكان النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية ، والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك ، لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار . .»<sup>(٤)</sup> . ] وما يمكن أن يقال في هذا المقام:

١ - إن النهي وارد على ما إذا جعل المسلم ذلك مصدراً من مصادر الدين التي يأخذ منها عقيدته وأحكام الدين ، وهذا غير وارد على من يقرأ الكتب غير الإسلامية لقصد نقدها وتفنيدها .

٢ - المنع يرد لمن يخشى عليه من التأثير بها أو إثارة الشبهات عليه كمن ليس عنده علم شرعي أو كضعاف الإيمان .

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم ٣٤٦١ ، انظر الفتح ٥٧٢ / ٦ .

(٢) التفسير والمفسرون ، د . محمد حسين الذهبي / ١ / ٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ١٧٣ .

(٤) فتح الباري ، لابن حجر ٥٧٥ / ٦ .

٣ - إذا كان ما يسأل عن أهل الكتاب أو يستشهد من كتبهم مما لا يمس بالعقيدة وأصول الدين ولم يتناف مع مقاصد الشريعة الإسلامية بأن كان فيما يتعلق بالأخبار التي كانت في زمانهم ونحوها مع عدم التسليم على أنه من الصواب الذي لا يتطرق إليه الشك، أو كان مما يوافق ما ورد فيه نص، فإن هذا من الأمور التي أباحها الشرع<sup>(١)</sup>. وبهذا نعرف أن قراءة الكتب غير الإسلامية والاطلاع على عقائد الأمم لقصد التحذير منها أوردتها ونقدتها من الأمور التي لا تدخل ما نهى عنه الشرع بل إن الشرع حث عليها قال تعالى: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٢)</sup>، ولا جدال إلا مع العلم، قال النبي ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»<sup>(٣)</sup>.

فالمسلمون مأمورون بجهاد المشركين، ومنهم أهل الكتاب، ومن جهاد اللسان الرد والنقد والجدال والمناظرة مع جميع المشركين لقصد بيان الحق وكشف الباطل. وهذا هو الغرض الأساس من دراسة الأديان والملل عند المسلمين. أما فيما يتعلق بالنهي عن الجدال والحجاج في الدين فنقول: بأن القرآن استثنى المجادلة بالتي هي أحسن، وأن هذا لا يكون أيضاً مبرراً في عدم دراسة الملل، إذ أن من الجدال ما هو محمود مأمور به، ومنه ما هو مذموم منهي عنه<sup>(٤)</sup> والمحمود هو المقصود في قوله تعالى: ﴿اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

أما المذموم فهو الوارد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾<sup>(٥)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾<sup>(٦)</sup> والجدال الأول من النصيحة في الدين، أما الثاني فهو إما الجدال بغير علم، أو الجدال بالشغب والتمويه نصرته للباطل بعد ظهور الحق وبيانه<sup>(٧)</sup>.

(١) التفسير والمفسرون ١/١٦٩.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) أخرجه أبو داود الحديث رقم ٢٥٠١، النسائي مع زيادة لفظة وأيديكم بعد بأموالكم الحديث رقم ٣٠٩٦، للحافظ

جلال الدين السيوطي ٦/٣١٤.

(٤) مناظرات أئمة السلف، للشيخ سليم عيد الهلالي ص ٢٣.

(٥) سورة غافر الآية: ٣٥.

(٦) سورة الكهف الآية: ٥٦.

(٧) مناظرات أئمة السلف ص ٢٣.

وبذلك نعلم أن الباحث المتخصص في دراسة الملل إذا أخلص عمله لله تعالى ودافع عن الحق ، وجادل للحق كان جداله من النوع المدوح المأمور به ، وكان فعله نوعاً من أنواع الجهاد . وإذا كان ما سبق إشكالاً فمن ينظر إلى الموضوع من الجانب الشرعي ، فهناك فريق آخر ينظرون إليه من الجانب المنهجي .

وهم الذين يشككون بصحة إطلاق لفظ العلم على هذا الفن ، ويعلمون ذلك بانعدام الموضوعية فيه ، يقول العقاد : «علم المقارنة بين الأديان يسمى علماً مع الحيلة المتفاهم عليها بين الباحثين والقراء ؛ لأنه من المعارف التي يقيمها المشتغلون به على أسس مختلفة ، كاختلافهم في العقيدة الدينية وفي النظر إليها»<sup>(١)</sup> فلا يمكن للباحث في هذا الفن أن يطرح عقيدته وأفكاره جانباً ويتنازل عن موقفه السابق على البحث ، بل لو حاول أي باحث الموضوعية والتجرد ؛ فإنه لا يمكن أن ينتهي من البحث دون أن يتأثر بعقيدته ولو بطريقة لا شعورية ، وبدون أن ينعكس إيمانه على طريقة عرضه وتوجيهه للأفكار والقضايا التي يعالجها ، وما دام الأمر كذلك فالأولى ألا يسمى هذا النوع من المعارف علماً! .

إن القائلين بهذا القول هم الذين يتبنون بالمنهج التجريدي أي أن يتجرد الباحث عن عقيدته ومبادئه عند البحث ، وهذا المنهج مخالف للحق ، والحق في ذلك هو التجرد في طلب الحق لا التجرد عن الحق ، ومن أهم الضوابط عند الباحث المسلم في هذا الفن ، أن دينه هو الدين الحق المهيمن على جميع الأديان ، وأن غيره من الأديان باطل .

إذاً لا يعد هذا وذاك مبرراً يحط قيمة هذا العلم أو يسلب نسبته إلى العلوم الشرعية . وهناك عامل آخر لا يقل أهمية عما سبق وهو أن عدم إدراك أهمية هذا العلم ودوره في الصراعات العقدية والفكرية والسياسية ، وتأثيره في مواقف الدول والشعوب . . إن عدم إدراك ذلك كله قد يقلل من قيمة هذا العلم عند البعض

إن الجواب الشافي لمن لديه غموض في الجانب الشرعي من هذا العلم ، وتنبية الغافلين على أهميته لما أرجو أن يتحقق في ثنايا هذا البحث .

\*\*\*\*\*

(١) ما يقال عن الإسلام ، عباس محمود العقاد ص ٢٧ ، منشورات المكتبة العصرية - بيروت صيدا .

٢ - أهم مؤلفات المسلمين في علم الملل من بداية التدوين حتى القرن التاسع الهجري:

وأود أن أشير قبل سرد تلك المؤلفات إلى ثلاثة أمور:

الأول: ما سأذكره من المؤلفات ليس على سبيل الحصر والاستقصاء.

الثاني: يشمل جميع مؤلفات علماء المسلمين بغض النظر عن اتجاهه العقدي والفكري.

الثالث: المؤلفات مرتبة على حسب تاريخ وفيات المؤلفين ، فمن وجدت أنه توفي في القرن الثالث صنفته في هذا القرن ، وإن عاش في القرن الثاني ، وذلك أنه من الصعب تحديد تاريخ المؤلفات إن لم ينص على ذلك مؤلفوها . وها أنا أشرع في سرد هذه المؤلفات - مستعينا بالله .



ففي القرن الثاني الهجري: كما سبقت إليه الإشارة فإن التصنيف في علم ..

بدأ في القرن الثاني الهجري ، وأهم المؤلفات التي ألفت في هذا القرن ما يلي:

١ - كتاب "جواب قسطنطين عن الرشيد" لمحمد بن الليث الخطيب المكنى أبو الربيع ، توفي بعد سنة ١٧٠هـ<sup>(١)</sup> ، كتبه بطلب من هارون الرشيد ؛ ليعث به إلى قسطنطين ملك الروم ، يدعو فيه إلى الإسلام مبينا مناقب عقيدته ، ومثالب عقيدة النصرانية .

٢ - رسالة الهاشمي إلى عبد المسيح الكندي ، لأبي عبد الله بن إسماعيل الهاشمي<sup>(٢)</sup> .

في القرن الثالث: في هذا القرن ألف كتب كثيرة من أهمها:

١ - الرد على النصارى: للقاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الشيعي الزيدي ، المتوفي ٢٤٦هـ<sup>(٣)</sup> .

٢ - الرد على الزنديق اللعين ابن المقفع للمؤلف السابق ، وهو عبارة عن رد على الديانة الثنوية متمثلة في شخص ابن المقفع<sup>(٤)</sup> الذي كتب كتابا ينتصر فيه للثنوية<sup>(٥)</sup> .

٣ - المختار في الرد على النصارى ، لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المشهور بالجاحظ ، المتوفى ٢٥٥هـ<sup>(٦)</sup> .

٤ - الدين والدولة ، لأبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري<sup>(٧)</sup> ، المتوفى ٢٦٠

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٦٣ .

(٢) انظر: المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٣) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص ٢٦ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٣٥ .

(٤) هو عبد الله بن المقفع ، كان من الكتاب المشهورين ، وأحد نقلة من اللسان الفارسي إلى العربي ، انظر: الفهرست ١٥٠ .

(٥) مناهج الاستدلال وصوره لدى المتكلمين والفلاسفة د . مختار محمود عطا الله ، ص ١٠١ رسالة دكتوراة ، بدار العلوم ، جامعة القاهرة مكتوب بالآلة الكاتبة ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

(٦) انظر: معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ٧٤/١٦ ، ١١٤/١٦ مطبوعات دار المأمون .

(٧) انظر: الفهرست ، لابن النديم ص ٣٥٨ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحاله ١٠٩/٧ ، دار إحياء التراث العربي ، وهدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ١/ ٦٦٩ مكتبة المثنى ببغداد مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية ١٥٧/١ .

هـ<sup>(١)</sup> أو ٢٥٣هـ . وهو ما رجحه صاحب كتاب "مسلمو أهل الكتاب"<sup>(٢)</sup> .

٥ - الرد على النصارى للمؤلف نفسه<sup>(٣)</sup>

٦ - الكتاب الأوسط في المقالات ، لأبي العباس عبد الله بن محمد الأنباري الناشئ الأكبر ، المتوفى ٢٩٣هـ ، متكلم من المعتزلة<sup>(٤)</sup> ، عرض في جزء من كتابه هذا عقائد النصارى ، واهتم بتبيين فسادها<sup>(٥)</sup> .

٧ - الرد على النصارى ، لأبي عيسى محمد بن هارون الوراق ، المتوفى ٢٩٧هـ ، كان معتزلياً في أول أمره ، ثم عدل عنها إلى الإلحاد ، أو إلى المانوية والزندقة<sup>(٦)</sup> ، ألف ثلاثة كتب في الرد على النصارى<sup>(٧)</sup> ، ولم تصل إلينا هذه الكتب ، والمحفوظ عنها هو ما ورد في رد يحيى بن عدي النصراني على الوراق<sup>(٨)</sup> ، بالإضافة إلى ذلك فإن له كتاباً بعنوان "المقالات"<sup>(٩)</sup> .

في القرن الرابع: أما في القرن الرابع فقد شهدت ساحة العالم الإسلامي مؤلفات ، ودراسات في علم الملل ، من أهمها:

١ - الآراء والديانات لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي الشيعي المتوفى ٣٠٢هـ<sup>(١٠)</sup>

٢ - الفصول لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر - إسحاق - سالم بن

(١) انظر: هدية العارفين ١/٦٦٩ .

(٢) انظر: مسلمو أهل الكتاب ١/١٧٢ .

(٣) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٣٠ .

(٤) انظر: الفهرست ، لابن النديم ص ٤١١ ، الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٤٠ - ١٤١ ، بركلمان ٢/٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٥) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٤٠ - ١٤١ .

(٦) انظر: الفهرست ص ٤١١ وانظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٧) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٦٥ .

(٨) انظر: المصدر السابق ص ١٤٢ .

(٩) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص ٢٨ .

(١٠) انظر: الفهرست ص ٢٢٢ ، وانظر: ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، الأعلام للزركلي ٢/٢٢٤ .

إسماعيل ، المشهور بأبي الحسن الأشعري ، والمؤسس لمذهب الأشاعرة ، المتوفى سنة ٣٢٠هـ ، وقيل : سنة ٢٣٠هـ ، وهو أرجحها<sup>(١)</sup> ، وقد رد في كتابه هذا على الملحددين ، والخارجين عن الملة ، كالفلاسفة ، والطبائعيين ، والدهزيين ، وأهل التشبيه ، والقائلين بقدوم الدهر على اختلاف مقالاتهم ، وأنواع مذاهبهم ، كما رد فيه على البراهمة ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس<sup>(٢)</sup> .

٣ - جمل المقالات للأشعري أيضا ، اشتمل هذا الكتاب على جمل مقالات الملحددين ، وجمل أقاويل الموحدين<sup>(٣)</sup> .

٤ - مقالات غير الإسلاميين للأشعري ، قال الدكتور عبد المجيد الشرفي : انفرد بذكره ابن تيمية في منهاج السنة ووصفه بأنه أكبر من مقالات غير الإسلاميين<sup>(٤)</sup> .

٥ - المقالات في أصول الديانات لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المتوفى ٣٤٦هـ<sup>(٥)</sup> . الشيعي تناول المسعودي الفرق الإسلامية والأديان ، والمذاهب غير الإسلامية ، كاليهودية ، والنصرانية ، والثنوية ، والديسانية ، والصابئة ، والمجوس ، والخرمية . وهو من أعظم مؤلفات المسعودي لكنه في عداد كتبه المفقودة<sup>(٦)</sup> .

٦ - الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن محمد بن يوسف العامري<sup>(٧)</sup> المتوفى سنة ٣٨١هـ وهو فيلسوف ينتمي إلى مدرسة الكندي الفلسفية .

القرن الخامس الهجري : وإذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري نجد أن علماء الذين

(١) انظر : تاريخ بغداد لحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ٣٤٧/١١ دار الكتاب العربي ، سير أعلام النبلاء ٩٠/١٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٨٧/١١ .

(٢) انظر : تبييت كذب المفترى لابن عساكر ص ١٢٩ - ١٣٠ ، مقدمة كتاب الإبانة عن أصول الديانة ، د . فوية حسين محمود ، محققة الكتاب ص ٤٢ .

(٣) انظر : تبييت كذب المفترى لابن عساكر ص ١٣١ ، ومقدمة محققة كتاب الإبانة ص ٤٩ .

(٤) انظر : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٦٦ . وقد راجعت كتاب المنهاج ولم أجد اسم مقالات غير الإسلاميين وإنما وجدت اسم المقالات الكبير وقد جعل المحقق كتاب المنهاج المقالات الكبير وجمل مقالات كتابا واحدا ، انظر : المنهاج ٢/٢٢٤ .

(٥) انظر : الأعلام للزركلي ٤/٢٧٧ .

(٦) انظر : منهج المسعودي في كتابة التاريخ د . سليمان بن عبد الله السويكت ص ١٣٦ ط الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(٧) انظر الأعلام للزركلي ٧/١٤٨ .

توفوا في هذا القرن قد تركوا لنا مؤلفات كثيرة في علم الملل من أهمها .

١ - كتاب التمهيد لأبي بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ<sup>(١)</sup> وهو أحد المتكلمين الأشاعرة ، فقد خصص جزءا كبيرا من كتابه في الكلام عن الأديان الأخرى .

٢ - المغني في أبواب التوحيد والعدل ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي المتوفى سنة ٤١٥ هـ<sup>(٢)</sup> .

خصص الجزء الخامس من هذا الكتاب للفرق غير الإسلامية<sup>(٣)</sup> وللقاضي كتب أخرى تناول فيها الكلام عن الأديان الأخرى كـ «تثبيت دلائل النبوة»<sup>(٤)</sup> .

٣ - درك البقية في الوصف الأديان والعبادات لمحمد بن عبيد الله بن أحمد المسيحي المتوفى سنة ٤٢٠ هـ<sup>(٥)</sup> والمسيحي شيعي وصفه الذهبي بأنه رديء الاعتقاد على دين بني عبيد وأقل ذلك الرفض<sup>(٦)</sup> .

٤ - الملل والنحل لأبي المنصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ<sup>(٧)</sup> . وهو من أعلام الأشاعرة .

(٥) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة لمحمد بن أحمد أبو الريحان

(١) انظر البداية والنهاية ١١/٣٧٣ ، الأعلام للزركلي ٦/١٧٦ .

(٢) انظر: الأعلام للزركلي ٣/٢٧٣ .

(٣) انظر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا للدكتور حامد طاهر ص ١١٥ .

(٤) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٥) انظر: الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ٤/٧ ، دار النشر فرانز شتايز بفيسابان ط الثانية ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد بن العماد الحنبلي ٣/٢١٦ ، النجوم الزاهرة لجمال الدين أبي الحسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ٤/٢٧١ ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ١/٧٥٢ .

(٦) انظر: أخبار مصر للمسيحي ، مقدمة المحقق لجزء الأربعين ، تحقيق أمين سيد ونباري بيانكي ، صفحة ن الناشر ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة .

(٧) انظر: سير الأعلام النبلاء محمد الذهبي ١٧/٥٧٢ - ٥٧٣ ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان تحقيق د . إحسان عباس ٣/٢٠٣ .

البيروني الخوارزمي والمتوفى سنة ٤٤٠هـ<sup>(١)</sup> وهو كتاب خاص بعقائد الهند وعاداتهم .

٦- الفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري المتوفى سنة ٤٥٦هـ<sup>(٢)</sup> ويعد هذا الكتاب من أعظم كتب علم الملل من حيث الشمول والدقة والمنهجية .

٧- رسالة في الرد على راهب فرنسا لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي المتوفى سنة ٤٧٤هـ<sup>(٣)</sup> .

٨- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري<sup>(٤)</sup> . المتوفى سنة ٤٧٨هـ<sup>(٥)</sup> أحد أعلام الأشاعرة .

القرن السادس الهجري: أما إذا جئنا إلى القرن السادس فنجد من أهم هذه الكتب ما يلي:

١- الرد الجميل لألوهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي<sup>(٦)</sup> المتوفى سنة ٥٠٥هـ<sup>(٧)</sup> وهو من أعلام الأشاعرة .

٢- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني<sup>(٨)</sup> المتوفى سنة ٥٤٨هـ<sup>(٩)</sup> .

ويعد هذا الكتاب من أوسع كتب علم الملل والنحل فهو "دائرة معارف لمعرفة الأديان والفرق"<sup>(١٠)</sup> والشهرستاني من علماء الأشاعرة أيضا .

(١) انظر: الأعلام ٣١٤/٥ .

(٢) انظر: وفيات الأعيان ٣/٣٢٥، ٣/٣٢٨، الأعلام للزركلي ٤/٢٥٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٩٨ .

(٣) انظر: البداية والنهاية ١٢/١٣٠ .

(٤) انظر: سير الأعلام النبلاء ١٨/٤٦٨، وفيات الأعيان ٣/١٦٧ .

(٥) انظر: سير الأعلام ١٨/٤٧٦، وفيات الأعيان ٣/١٦٩، تبين كذب المفتري ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٦) انظر: سير الأعلام النبلاء ١٩/٣٢٢ - ٣٢٣، وفيات الأعيان ٤/٢١٦ .

(٧) انظر: سير الأعلام النبلاء ١٩/٣٤٣، وفيات الأعيان ٤/٢١٨ .

(٨) انظر: سير الأعلام النبلاء ٢٠/٢٨٦ .

(٩) المصدر السابق ٢٠/٢٨٧ .

(١٠) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ٢٧ .

٣- إفحام اليهود للمهتدي أبي نصر السمومل أبي البقاء يحيى بن المغربي<sup>(١)</sup> المتوفى سنة ٥٧٠هـ تقريباً<sup>(٢)</sup> كان يهودياً فهده الله إلى الإسلام فألف كتابه لبيان فساد عقائد اليهود.

٤- الداعي إلى الإسلام لكمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي<sup>(٣)</sup> المتوفى سنة ٥٧٧هـ<sup>(٤)</sup> رد الأنباري هذا الكتاب على جميع أهل الملل الباطلة والنحل الفاسدة وألفه على طريقة الأشاعرة<sup>(٥)</sup>.

٥- مقامع هامات الصلبان وروائع روضات الإيمان لأبي جعفر أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الأنصاري الخزرجي، المتوفى سنة ٥٨٢هـ<sup>(٦)</sup> وقد حقق هذا الكتاب الدكتور محمد عبد الغني شامة باسم "بين الإسلام والمسيحية" واعتبر بعض الباحثين ذلك تحريفاً<sup>(٧)</sup> كما حققه الدكتور عبد المجيد الشرفي بعنوان "مقامع الصلبان في الرد على النصارى"<sup>(٨)</sup>.

٦- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، وهو لأحد علماء النصارى المهتدين، قيل إن اسمه "نصر بن يحيى بن سعيد المتطبب"، وقيل: "نصر بن عيسى المتطبب" وقيل: "نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب"، وهذه الروايات الثلاثة وردت في ثلاث نسخ خطية لكتاب "النصيحة الإيمانية"<sup>(٩)</sup>. أما وفاته فيظهر أنه توفي سنة ٥٨٩هـ<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لأحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة ٤٦/٣ - ٤٧، دار الثقافة ط الثانية ١٩٨١ م.

كشف الظنون ١/١٣٢، وانظر: مسلمو أهل الكتاب ١/١١٥.

(٢) انظر: مسلمو أهل الكتاب ١/١٣٢.

(٣) انظر: شذرات الذهب ١/٥١٩، الأعلام ٣/٣٢٧.

(٤) انظر: بغية الوعاة لجلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٨٨/٢، المكتبة العصرية - بيروت. وفيات الأعيان ٢/٣٢٠.

(٥) انظر: الداعي إلى الإسلام لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري دراسة محقق الكتاب سيد حسين باغجوان ص ٣٤ - ٣٥.

(٦) انظر: مقدمة د. عبد المجيد الشرفي محقق الكتاب ص ٢ - ٥.

(٧) انظر: دراسة الدكتور الشرفي على كتاب "الرد الجميل للغزالي" ص ٢١.

(٨) يرى المحقق أن هذا العنوان يجمع روايات مختلفة لعنوان الكتاب.

(٩) انظر: مسلمو أهل الكتاب ١/١٩٢.

(١٠) المصدر السابق ١/١٩٤.

القرن السابع الهجري: وإذا انتقلنا إلى القرن السابع فنجد أن أهم هذه الكتب كالتالي:

١ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين الرازي<sup>(١)</sup>، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ<sup>(٢)</sup>

أحد أعلام الأشاعرة. وهو كتاب شامل، كما يدل عليه اسمه، لكنه مختصر جدا.

٢ - مناظرة في الرد على النصارى للمؤلف السابق<sup>(٣)</sup>.

٣ - تخجيل من حرف الإنجيل<sup>(٤)</sup>. لأبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري، توفي بعد

سنة ٦٣٢ هـ، كما ذكر محقق كتابه "الرد على النصارى"<sup>(٥)</sup>.

٤ - الرد على النصارى وهو لأبي البقاء أيضا، وله كتاب آخر بعنوان "الواضح

المشهود في فضائح النصارى واليهود" والكتابان الأخيران ملخصان لكتاب "التخجيل"<sup>(٦)</sup>

٤ - الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة لأبي العباس أحمد بن إدريس بن

عبد الرحمن بن عبد الله القرافي، نسبة إلى القرافة، من بقاع مصر، الملقب بشهاب الدين،

المتوفى سنة ٦٨٢ هـ<sup>(٧)</sup>.

٥ - البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان لأبي الفضل عباس بن منصور بن عباس

الثريمي السكسكي، المتوفى سنة ٦٨٣ هـ<sup>(٨)</sup>، والسكسكي من علماء أهل السنة

والجماعة<sup>(٩)</sup>، والكتاب شامل للفرق، والأديان، لكنه مختصر جدا.

القرن الثامن: في القرن الثامن نجد أن أهم الكتب التي ترك لنا العلماء في هذا القرن ما يلي:

١ - الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية لأبي الربيع سليمان بن عبد

(١) انظر: وفيات الأعيان ٤/٢٤٨، سير الأعلام ٢١/٥٠٠ - ٥٠١.

(٢) الأعلام للزركلي ٦/٣١٣ وفيات الأعيان ٤/٢٥٢.

(٣) حقق هذا الكتاب الدكتور عبد المجيد النجار، وصدر عن دار الغرب الإسلامي سنة ١٩٨٦ م.

(٤) انظر: كشف الظنون ٢/٢٤٩.

(٥) انظر: مقدمة محقق الكتاب الرد على النصارى د. محمد محمد حسانين ص ١٣.

(٦) انظر: المصدر السابق ص ٦ - ٧.

(٧) الأعلام للزركلي ١/٩٤ - ٩٥.

(٨) انظر: معجم المؤلفين ٥/٦٥، هدية العارفين ٥/٤٣٧.

(٩) انظر: دراسة وتحقيق الدكتور علي بن حسن بن ناصر العسيري على الكتاب ص ٦٢ مكتوب بالآلة الكاتبة.

- القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري نجم الدين البغدادي المتوفى سنة ٧١٦هـ<sup>(١)</sup> .
- ٢ - مسالك النظر في نبوة سيد البشر لسعيد بن حسن الأسكندراني توفي بعد سنة ٧٢٠هـ<sup>(٢)</sup> . وهو أحد علماء اليهود المهتدين .
- ٣ - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه السلام للقرطبي<sup>(٣)</sup> رد عليه صاحبه على كتاب "تثليث الوجدانية" لأحد علماء النصارى .
- ٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني<sup>(٤)</sup> المتوفى سنة ٧٢٨هـ<sup>(٥)</sup> وهذا الكتاب موسوعة علمية في علم الملل .
- ٥ - اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أيضاً .
- ٦ - هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى "لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن

(١) انظر: شذرات الذهب ٣٩/٦، الدرر الكامنة للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني تحقيق محمد سيد جاد الحق .

(٢) لا يعرف تاريخ وفاة صاحب الكتاب بالتحديد والمؤكد أنه ألف هذا الكتاب في سنة ٧٢٠هـ انظر: مسلمو أهل الكتاب بـ ١٤٣/١، دراسة الدكتور محمد الشرقاوي لكتاب "إفحام اليهود لسموئل" تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، الناشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٧هـ .

(٣) اختلف الباحثون هل المراد بالقرطبي المفسر فذهب صاحب هدية العارفين ١٢٩/٢، وبركلمان في تاريخ الأدب العربي ٢٧٦/٣، والدكتور . عبد الراضي محمد في كتابه منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص ٣١ إلى أن المراد بالقرطبي هو الإمام القرطبي المفسر المعروف، ولكن عارض هذا الرأي آخرون منهم الدكتور علي بن سليمان العبيد في رسالته الماجستير (القرطبي مفسراً) ص ٧٩ - ٨٢ مكتوبة بالآلة الكاتبة جامعة الإمام - كلية أصول الدين، وكذلك أحمد المزيدي في رسالته "منهج الإمام القرطبي في أصول الدين" ٦٢ - ٦٣ جامعة الإمام - كلية أصول الدين ١٤١٢هـ . أما الدكتور أحمد حجازي السقا محقق الكتاب - وهو ممن يرى أن الكتاب لغير القرطبي المفسر - فقد ذكر أن المؤلف ذكر أنه فرغ منه سنة سبعمائة وست وعشرين من الهجرة، ومعنى هذا أن القرطبي مؤلف كتاب الإعلام ليس هو القرطبي الإمام الفقيه المفسر للقرآن الكريم . لأن القرطبي الإمام توفي سنة ستمائة وواحد وسبعين من الهجرة، بالإضافة إلى أن أسلوب الكتاب غير أسلوب الإمام القرطبي المفسر . انظر مقدمة الدكتور في كتاب "الإعلام" ص ٥، دار التراث العربي . قلت: فإذا كان كاتب هذا التاريخ هو المؤلف حقيقة فلا شك أن المؤلف غير القرطبي المفسر، وإذا احتمل أنه لأحد نساخ الكتاب فلا شك أن الأمر يحتاج إلى مزيد من التحقيق والدراسة .

(٤) انظر: وفيات الأعيان ٧٤/١، الدرر الكامنة ١٥٤/١، البداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/١٤، الأعلام للزركلي ٦/٤ .

(٥) انظر: الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية للبخاري، تحقيق صلاح الدين المنجد ص ٧٣ .



قيم الجوزية<sup>(١)</sup>، المتوفى سنة ٧٥١هـ<sup>(٢)</sup>.

٧ - "إغاثة الלהفان في مصائد الشيطان" لابن القيم نفسه، وفي هذا الكتاب تناول الحديث عن الأديان جزءا كبيرا.

٨ - أحكام أهل الذمة "لابن القيم أيضا جمع فيه كل ما يتعلق بأحكام أهل الذمة.

القرن التاسع: وفي هذا القرن لا نجد كتبا في علم الملل ذات أهمية، ما عدا كتاب واحد، هو "تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب" لعبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي، كان نصرانيا، اسمه "إنسلم تورميذا" هداه الله إلى الإسلام، وألف هذا الكتاب سنة ٨٢٣هـ<sup>(٣)</sup>.

وبعد القرن التاسع، يرى الباحثون أن علم الملل بدأ بمرحلة الضعف والجمود، ولم يسجل لعلماء المسلمين جهودا، وإبداعات في هذا الميدان<sup>(٤)</sup>، وانتقل هذا العلم إلى الغرب؛ فظهر بمناهج تنبثق من تصوراته، وتوافق فلسفاته، وظن الغربيون أن هذا الفن فن جديد، ابتكره علماء الغرب، بيد أن كل منصف له إمام بتراث المسلمين يجزم أن علماء المسلمين هم أول من ابتكروا دراسة أديان العالم، وعقائد شعوبه، دراسة علمية موضوعية، وهذه المؤلفات التي ذكرتها في الصفحات السابقة لدليل وبرهان على ذلك، ثم إن أسبقيتهم في هذا الميدان لم تكن في التأليف فقط، وإنما كانت أيضا في وضع القواعد المنهجية السليمة لدراسة الأديان، والتي بدونها لا تتحقق أهداف هذا العلم، وفوائده.

والحق أن المناهج التي نهجها العلماء المسلمون في دراسة الأديان كثيرة، وبعضها مخالف لمنهج القرآن في عرض ونقد الأديان، وسأذكر تلك المناهج على وجه الإجمال.

(١) الأعلام ٥٦/٦.

(٢) انظر: الدر الكامنة ٢٣/٤.

(٣) انظر: كشف الظنون ١/٣٦٢، معجم المؤلفين ٦/٧٨، مقدمة الرد الجميل للغزالي د. محمد الشرقاوي ص ٨٣.

(٤) لكن هذا لا يمنع أن يكون لبعض العلماء جهود في هذا الحقل وإن كانت ضعيفة، ومن الجهود التي تذكر بعد القرن التاسع ما قام به المهتدي زيادة النصب الراسي في القرن الحادي عشر من تأليف كتابه "البحث الصريح" والأجوبة الجليلة انظر: كتاب مسلمو أهل الكتاب ١/٢٢٥ - ٢٢٦.

### ٣ - مناهج البحث لدى علماء المسلمين في علم الملل:

عند قراءتنا لتراث علماء المسلمين في علم الملل قراءة فاحصة ، نجد أنهم في دراساتهم للأديان قد نهجوا مناهج متعددة ، تتوزع بين المنهج التاريخي ، والتحليلي ، والمقارنة ، والنقدي ، أو الجمع بينها . وأقدم هنا نبذة موجزة عن هذه المناهج:

**المنهج التاريخي أو الوصفي:** هذا المنهج يقدم أصحابه الأديان والمذاهب دون رد أو نقض ، ويترك القارئ ليميز بين الحق والباطل ، وبين الهدى والضلال ، وهو منهج يخالف لمنهج القرآن الكريم ، الذي لا يعرض الأديان الباطلة دون نقد ورد ، وهو بجانب لغاية دراسة الأديان التي تتلخص في بيان الحق من الباطل ، بإظهار الحق وتقريره ، وكشف الباطل وهدمه .

ومن نماذج هذا الاتجاه "الشهرستاني" في كتابه "الملل والنحل"؛ فهو القائل مشيراً إلى أسس منهجه: «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم ، من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم ، دون أن أبين صحيحه من فاسده ، وأعين حقه من باطله ، وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ، ونفحات الباطل ...»<sup>(١)</sup> . وسواء التزم الشهرستاني بهذا الشرط أم لم يلتزم ، وهو ما حدث حيث «لا يخلو كتابه من بعض الردود والمناقشات ، والإشارات النقدية»<sup>(٢)</sup> ، إلا أن هذا الشرط مما يؤخذ عليه .

ومن هذا الاتجاه أيضاً "البيروني" في كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة" حيث صرح ذلك في بداية الكتاب «وليس الكتاب جدل وحجاج ، حتى استعمل فيه بإيراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق ، وإنما هو كتاب حكاية ، فأورد كلام الهند على وجهه ...»<sup>(٣)</sup>

(١) انظر: الملل والنحل ص ١٤

(٢) انظر: مقالات في المذاهب والفرق د . عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ص ٤٩ .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ، ومرذولة لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني تحقيق علي صفا ص ١٥ -

واستطرد قائلاً: «وأنا في أكثر ما سأورده من جهتهم حاك غير منتقد»<sup>(١)</sup>.

وهذا المنهج هو أوفر مناهج المسلمين حظاً، وإشادة عند علماء الغرب، وبه يرتضون أن يتناول علماء المسلمين الأديان.

منهج التحليل والمقارنة: يعد المنهج المقارن في دراسة الأديان من أبرز مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان، وهم في ذلك مقتدون بالقرآن الكريم، فهذا الشهرستاني، أحد أساطين علم الملل يقول: «إنه ما من قصة ذكرت في القرآن إلا وفيها تقابل الطريقتين، وأنه كما يوجد التضاد في الموجودات يوجد أيضاً في الأمور...» ثم قال: «حتى لو تفحصت لكلمات القرآن وجدت التضاد في كل كلمة، إلا ما شاء الله، وما من آية في حق المؤمنين إلا ويعقبها آية في حق الكافرين، وما من خصلة من خصال الخير إلا ويذكر عقبها خصلة من خصال الشر»<sup>(٢)</sup>.

وهدف علماء المسلمين في مقارنة الأديان هو إبراز فضل الإسلام، وسموه على غيره من الأديان، والنحل. ولعل كتاب "الإعلام بمناقب الإسلام" خير أنموذج لهذا، فقد حدد العامري في هذا الكتاب الأديان التي سيقارن بينها، كما بين موضوع المقارنة، ومنهجها؛ فالأديان التي قارن بينها هي: الإسلام، واليهودية، والنصرانية، ودين الصابئة، ودين المجوس، والشرك أو عبادة الأوثان.

وموضوع المقارنة يتمثل في العناصر الرئيسة للدين التي يسميها: أركان الدين، وهي الجوانب، أو العناصر التي تشكل جوهر الدين، ومن ثم تشترك فيها، أو ينبغي أن تشترك فيها جميع الأديان، وهي: «الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والمزاج» ثم يقارن بين بعض العناصر المهمة المكملة لتلك، مثل: النظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، والانجازات الحضارية، والثقافية لهذه الأديان الستة.<sup>(٣)</sup>

وقد أعلن العامري أسس منهجه في صدر كتابه، قائلاً: «وقبل أن نشرع فيما وعدناه من مقابلة ركن بركن... يجب أن نقدم مقدمة، فنقول: «إن تبيان فضيلة الشيء على

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) انظر: منهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، لمحمد ناصر السحياني ص ٢٨٦.

(٣) انظر: مقدمة محقق الكتاب ص ٢٢، وانظر: مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي للشرقاوي ص ٥١٩ - ٥٢٠.

الشيء بحسب المقابلات بينها قد يكون صواباً ، وقد يكون خطأ ، وصورة الصواب معلقة بشيئين :

أحدهما : ألا يوقع المقايضة إلا بين الأشكال المتجانسة ، أعني ألا يعتمد إلى أشرف ما في هذا فيقيسه بأرذل ما في صاحبه ، ويعمد إلى أصل من أصول هذا فيقابله بفرع من فروع ذلك

ثانيهما : ألا يعتمد إلى خلة موصوفة في فرقة من الفرق ، غير مستفيضة في كافتها ، فينسبها إلى جملة طبقاتها . ومتى حافظ العقل في المقابلة بين الأشياء على هذين المعنيين فقد سهل عليه المآخذ في توفية حظوظ المتقابلات ، وكان ملازماً للصواب في أمره<sup>(١)</sup> .

فمقارنة الأديان الستة في الموضوعات المحددة ، والتزام مقارنة الأصل بالأصل ، والمهم بالمهم ، وعلى أساس المبادئ ، والأحوال المقبولة لدى جمهور معتنقي كل دين ، هي القواعد المنهجية التي وضعها العامري ، والتزم بها<sup>(٢)</sup> .

ولا شك أن علماء المسلمين قد أفادوا من تلك المقابلات ، والمقارنات بين الملل ، حيث أضفت على دراستهم للأديان عمقا وثراء ، وأتاحت لهم رؤية نافذة ، ودراية كاملة ، بعقائد وأفكار أهل الملل المختلفة ، مما مكنهم من الوقوف على حقيقة تلك الملل ، وما بينها من أوجه اختلاف ، أو اتفاق ، وتأثير ، أو تأثير ، ودرجات تفاوتها في القرب ، والبعد عن الحق .

**المنهج التحليلي النقدي:** التحليل والنقد من أبرز الخصائص التي تميزت بها دراسة علماء المسلمين في علم الملل ، فلم يكن علماء المسلمين يقتصرون بعرض الأديان ، ووصفها ، بل كانت دراستهم تتسم بالاستقصاء ، والشمول ، والتحليل العميق ، والنقد العلمي الرصين المبني على الحجج والبراهين .

ويمكن أن نمثل لهذا منهج الإمام ابن حزم في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل" فقد خصص ابن حزم مساحة كبيرة من كتابه هذا لدراسة الأديان ، وتناولها بتحليل نقدي منهجي ، مستخدماً بعملية استقراء تاريخي دقيق ، خاصة فيما يتعلق بكتب أهل الكتاب ،

(١) انظر: الإعلام بمناقب الإسلام لأبي الحسن العامر تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب ص ١٢٥ .

(٢) انظر: مقدمة المحقق ص ٢٣ - ٢٤ .

حيث نقدها سندا ، ومتنا ، يقول الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي: «لقد تشكل منهج ابن حزم التحليلي من النقد الخارجي ، أو بحث السند والرواية ، ومن النقد الداخلي ، أو فحص متن النص ، أو المحتوى . ويعد ابن حزم الأندلسي أول باحث - فيما نعلم - يدرس العهد القديم ، والأسفار الخمسة ، خصوصا دراسة تحليلية نقدية ، ويوظف هذا المنهج الرصين . . .»<sup>(١)</sup>

وكان ابن حزم في هذا يرتكز على قواعد ، وأصول منهجية لا يختلف عليها دارسان مثل: التناقض الذاتي ، ومناقضة بدهيات العقول ، ووقائع التاريخ الثابتة ، ومقررات الواقع الملموس . وقد انتهى ابن حزم من خلال الدراسة التحليلية النقدية إلى نتيجة عبر عنها بقوله: «إنها تاريخ مؤلف ألف بعد موت موسى بقرون عديدة . . .»<sup>(٢)</sup> ،<sup>(٣)</sup> .

**منهج الحوار والجدال والرد والمحااجة:** سلك بعض علماء المسلمين في دراستهم للأديان اتجاهها دفاعيا ، يواجه حملات التنصير ، والتشكيك التي تترىص للمجتمع الإسلامي ، وتثير الفتنة بين المسلمين ، واتخذ هذا الاتجاه شكل مناظرات حية بين علماء المسلمين وغير المسلمين ، من أصحاب الملل والنحل المختلفة ، وبالمحاورات ، والرد على الشبهات المكتوبة في رسائل ، أو في كتب<sup>(٤)</sup> ، ويمثل هذا المنهج أغلب كتب علماء المسلمين .

**المنهج الشامل في دراسة الأديان:** والمراد بالمنهج الشامل هو المنهج الذي يشمل جميع المناهج السابقة ، حيث يهتم بعرض ما يتناوله بالدراسة عرضا أميناً ، مع المناقشة ، والمقارنة ، والتحليل النقدي ، ورد الباطل وبيانه ، وقد يتم ذلك في قالب حوار ، أو مناظرة .

وهذا المنهج الشامل هو الأمثل في تناول دراسة الأديان ، إذ وصف الأديان وحده لا يغني ، كما أن المقارنة غير الموجهة غير مجدية ، وأن النقد والردود قبل استيفاء العرض

(١) انظر: مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي ص ٥٢٢ ، وانظر: منهج نقد النص بين ابن حزم الأندلسي ، وإسينوزا ، د . محمد عبد الله الشرقاوي ص ١٩ ، وكذلك ص ٣٩ .

(٢) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل . ٢٨٥ / ١ .

(٣) انظر: مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي ص ٥٢٣ .

(٤) انظر: المدخل لدراسة الأديان ، ص ١٤٠ ، مناهج مقارنة الأديان في الفكر الإسلامي د . الشرقاوي ص ٥٢٣ .

والمناقشة قد يكون فيها مجانبة للأمانة والإنصاف ، ومن تتبع كتب المسلمين في دراسة الأديان يجد هذا المنهج الشامل ، ولعل خير أنموذج لهذا المنهج كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية

تعقيب: يتضح مما سبق من سرد بعض مؤلفات علماء المسلمين في الملل ، وعن تلك اللمحة الموجزة عن مناهجهم: أن أغلب فرق الأمة الإسلامية قد شاركت في هذا المجال ، وأن المعتزلة كانت لهم اليد الطولى في هذا العلم عند نشأته ، وأن علماء الأشاعرة ، وعلماء أهل السنة والجماعة ، قد بذلوا جهدا كبيرا في تطوير هذا العلم ، بالإضافة إلى إسهامات الشيعة ، والفلاسفة .

ويأتي هنا تساءل مهم هو: إذا كان علماء المسلمين قد ساهموا في هذا العلم الذي غرضه الدفاع عن الدين الإسلامي ضد الأديان الباطلة على اختلاف مناهجهم ، واتجاهاتهم الفكرية ، والعقدية ، فهل يمكن أن يفهم من ذلك أنهم استخدموا في هذا مناهج وأساليب تختفي فيها الآراء ، والاختلافات المذهبية؟ .

وفي هذا يرى بعض الباحثين أن هناك تقاربا في المناهج ، والأدلة ، وأن ذلك جاء نتيجة طبيعية لوحدة الموضوع والهدف ، واتفاق الدوافع والمنطلقات ، والاشترار في نفس المصادر<sup>(١)</sup>

يقول الدكتور حامد طاهر «وهناك نلاحظ ظاهرة هامة ، وهي اختفاء الخلافات المذهبية بين العلماء الذين تصدوا لهذا العمل الجليل ، وتقاربهم في المنهج والأدلة»<sup>(٢)</sup> .

ولكن لاوافق هذا الرأي ؛ ذلك أن كل فريق ، أو اتجاه ، عندما يتناول دراسة الأديان ، يتناوله على ضوء منهجه المبني على مذهبه العقدي ، فالمعتزلي عندما يتحدث ، ويدافع عن التوحيد يخالف في مفهوم التوحيد ، وفي طرق الاستدلال عليه عن مفهوم التوحيد عند السلفي ، وعن منهجه في الاستدلال على مسائل الدين ودلائله ، وكذلك الشيعي يخالف السني في فهمه للإسلام عقيدة ومنهجاً .

وأخيراً ، إن هذه الجهود التي بذلت في مجال علم الملل لتعطينا يقينا جازما باهتمام

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الرد على النصارى ص ٤١٤ .

(٢) انظر: الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا د. حامد طاهر ص ٢٦ .

علمائنا السابقين في هذا الحقل . ومن نافلة القول أن نقول: إن هذا التراث العظيم الذي تركوه لنا ليقدم لنا أهم العناصر للدفاع عن الإسلام ضد التحديات الشرسة التي تواجهه في العصر الحاضر .

لكن هذا العلم لا يؤدي دوره إلا بعد تقويمه ، وتنقيته عن الشوائب ، وهذا يتطلب قيام دراسات تأصيلية تععيدية ، يتميز فيها المنهج الصحيح - منهج القرآن الكريم - في تناول دراسة الأديان ، عن المناهج التي سلكها أهل الأهواء في دراساتهم للأديان ، ولا يتم ذلك إلا ببيان الضوابط المنهجية ، وأسسها لكل من المنهج الصحيح ، والمناهج المخالفة له .

وفي محاولة متواضعة ، سأحاول الكشف عن أهم ملامح منهج علماء أهل السنة في علم الملل ، مع التركيز لأهم الضوابط التي يمكن أن تستنتج من هذا المنهج ، ثم أثنى بذكر أهم ملامح مناهج المخالفين ، وذلك في الفصلين الآتين .

\*\*\*\*\*

## أول ملة ظهرت

كان الناس على الملة الكبرى ملة التوحيد "فكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام"<sup>(١)</sup>، ثم حدثت أخطر نحلة وهي "الشرك بالله عزَّ وجلَّ في قوم نوح عليه السلام وذلك بسعى وكيد من الشيطان، حيث استغل رحيل مجموعة من خيارهم، وهم: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، فجاءهم بثوب الناصح الأمين والمرشد الحكيم واقترح عليهم أن ينصبوا في أماكن عباداتهم تماثيل لهؤلاء الأخيار، حتى يتذكروا ما هم عليه من عبادة وخير فينشطوا في اتباعهم واقتفاء آثارهم فأخذوا بقوله...

وكان بصنيعه هذا يخطط لأجيال مقبلة ومراحل قادمة، وقد صدق فيهم إبليس ظنه فنفذ فيهم كيده ووقع مكره، وذلك حين طال عليهم الأمد ونسي العلم الموروث من مشكاة النبوة حيث جاء إلى الأجيال اللاحقة، وقال لهم إن أوائلكم ما صوروا تلك التصاوير ووضعوا هذه التماثيل إلا بقصد عبادتها فأنتم عن طريقهم ضالون، فاستمعوا إليه وعبدوا هذه الأصنام من دون الله سبحانه، وتغلغلت هذه "النحلة" في نفوسهم إلى درجة أن نبي الله نوحًا عليه السلام لبث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فجعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعه واستغشوا ثيابهم فغطوا بها وجوههم لئلا يروه وأصروا

(١) انظر: تفسير قوله سبحانه ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] في كتب التفسير،

وانظر: منهاج السنة (٥/٢٥٧).



على كفرهم واستكبروا عن قبول الحق الذي جاء به استكبارًا حتى قال فيما حكاه الله عنه مشيرًا إلى بأسه منهم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٥﴾ [نوح: ٥ - ٩]، ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَّوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٦﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٨﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٩﴾ [نوح: ٢١ - ٢٤].

قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين، من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت<sup>(١)</sup>. إذن كانت البشرية على ملة التوحيد، ثم طرأت نحلة الشرك بالله سبحانه، وكان ذلك في قوم نوح.

ويقال إن هذه الأصنام انتقلت بعينها إلى العرب بواسطة "عمرو بن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ردا ولا سواع ولا يغوث ويعوق، البخاري مع

الفتح (٦٦٧/٨)، ح (٤٩٢٠).

وانظر في المسألة: كتب التفسير، والقرطبي، وابن كثير... في تفسير الآية الثالثة والعشرين من

سورة نوح.

وابن حجر في الفتح: الموضع السابق، وكتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد، باب ما

جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ص (٣٠٥).

لحي الخزاعي"، الذي هو أول من غير دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أخبر النبي ﷺ "بأنه رآه يجر قصبه في النار"<sup>(١)</sup>. لما أورثه في الأمة من كفر وضلال.

ثم إن الله أنقذ الأمة ببعثة محمد ﷺ، وعصمها من الضلال الشامل بكتاب ربها وسنة نبيها، فأخبر عليه الصلاة والسلام بأنه ترك فينا أمرين لن نضل ما تمسكنا بهما، وهما كتاب الله وسنة رسوله ﷺ "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله، وستي"<sup>(٢)</sup>.

وأخبر أن هذه الأمة لن تضل جميعاً، وإن وجد الضلال في فرق وطوائف منها، لكن "لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة"<sup>(٣)</sup>.

إذن الأصل في حياة البشر هو ما تقتضيه فطرتها وجاءت بتقريره رسل ربها وهو التوحيد.

ومن هنا يتجلى تهافت ما قاله بعض الباحثين من أن البشرية مرت بثلاث مراحل أولها التعدد، ثم مرحلة التفكير والموازنة في اختيار الأصلح من بين الآلهة، ثم مرحلة الوحدانية<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: صحيح البخاري (٤/١٦٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ مرسلًا، والحاكم من حديث ابن عباس. قال الألباني: وإسناده حسن وله شاهد من حديث جابر خرجته في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٧٦١).

(٣) انظر: البخاري مع الفتح (١٣/٢٩٣).

(٤) انظر: الديانات والعقائد، عطار (١/٦٣).

فجعلوا الشرك هو الأصل والتوحيد طارئ، وتلك دعوى لا سند لها،  
ويكفي هذا في ردها والدعاوى لا يعجز عنها أحد إذا لم يكن له من وحي الله  
هادٍ ومن نظره وعقله حاجزٌ ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

لقد جاء القول الفصل في الوحي المنزل بتقرير الحقيقة الكبرى، وهي  
أن الأصل الوحدانية ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ولذلك  
يقول الحديث القدسي: "خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين..."<sup>(١)</sup>.

ويقول الذي لا ينطق عن الهوى: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه  
يهودانه وينصرانه ويمجسانه"<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: "كل مولود يولد على الفطرة"<sup>(٣)</sup>، وفي  
رواية: "على هذه الملة.."<sup>(٤)</sup>،<sup>(٥)</sup>.

(١) جزء من حديث رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأحمد في مسنده (١٦٢/٤).

(٢) رواه البخاري (٩٧/٣)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) الروايتان كلتاهما في مسلم الموضوع السابق.

(٤) الروايتان كلتاهما في مسلم الموضوع السابق.

(٥) لشيخ الإسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا الموضوع، حيث رصد تيار الشرك في تاريخ البشرية  
في الفتاوى (٦٠٣/٢٨) وما بعدها فارجع إليه، ولولا خشية الإطالة لسردته هنا بتامه، ومما قاله:  
"الناس كانوا بعد آدم عليه السلام وقبل نوح عليه السلام على التوحيد والإخلاص، كما كان عليه  
أبوهم آدم أبو البشر - عليه السلام - حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان... بشبهات زينها  
الشيطان.. فابتعث الله نبيه نوحًا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.. فمكث فيهم  
ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلما أعلمه الله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، دعا عليهم، فأغرق  
الله أهل الأرض بدعوته، وجاءت الرسل بعده تترى إلى أن عم الأرض دين الصابئة والمشركين لما  
كانت النماردة والفراعنة ملوك الأرض شرقًا وغربًا فبعث الله تعالى إمام الحنفاء، وأساس الملة  
الخالصة والكلمة الباقية إبراهيم خليل الرحمن فدعا الخلق من الشرك إلى الإخلاص... إلخ".

### خطبة بيان أن التوحيد سبق الشرك

قد تقدم بيان أنه لم توجد أمة من الأمم إلا وكان لها دين تدين به ، وعبادة تلتزم بها ، كما تقدم بيان أن الأديان نوعان : أديان سماوية ، وأديان وضعيّة شركيّة . وقد زعم الملحدون : أن الشرك كان أسبق في الوجود على الأرض من التوحيد ، وهو قول مبنيّ على إنكارهم للخالق جلّ وعلا ، وزعمهم أن الإنسان إنما وجد من الطبيعة حيث كان أنيميا ، ثم تطور بفعل الرطوبة حتى وصل بعد أزمان عديدة إلى صورة القرد ، ثم تطور فصار القرد إنسانا ، فزعموا أن هذا الإنسان . وكان في ذلك الوقت في طور الطفولة البشريّة . أخذ يبحث عن إله يعبده ، فتوجّه إلى عبادة الآباء والأجداد ، والأشجار ، والحيوانات الضخمة ، والشمس ، والقمر ، إلى غير ذلك من الأشياء التي يستعظمها في نفسه ، ثم بدأ هذا الإنسان يتطور في عقله وأحاسيسه ، فبدأ يتخلّى عن كثير من الآلهة التي كان يعبدها حتى توصل في عهد الفراعنة إلى التوحيد ، ولا يعني ذلك عندهم عبادة الله وحده لا شريك له ، وإنما عبادة إله واحد وهو « رع » الذي يُرمز له بقرص الشمس .

وظاهر من هذا القول أن أصحابه يزعمون أن الأديان من صنع البشر وليست من قبل الله عزّ وجلّ ، والعجيب أن يوافقهم على هذا القول بعض المفكرين والمتنسين للإسلام كالمقّاد في كتابه « الله جلّ جلاله »<sup>(١)</sup> وعبد الكريم الخطيب في كتابه « قضية الألوهية بين الفلسفة والدين »<sup>(٢)</sup> .

(١) انظره في - ص ( ٧ / ٣٥ ) من الكتاب .

(٢) انظره - ص ( ٧٠ - ٩٥ ) .

وقد زعم أصحاب هذا القول أن لهم عليه دليلين :

أولاً : القياس على الصنعة ، فكما أن الإنسان قد تطوّر في صناعته فهو كذلك تطوّر في ديانته .

ثانياً : أن الحفريات دلّتهم على أن الناس وقّعوا في الشرك وتعدّد الآلهة وأن الإنسان عرف التوحيد متأخراً<sup>(١)</sup> .

وهذا في الواقع قياس فاسد ، واستدلال باطل ، فقولهم إن الدين كالصنعة قياس مع الفارق لعدة أمور :

أولاً : أن الصناعات شيء ماديّ ، والأديان شيء معنويّ ، فكيف يُقاس شيء معنويّ غير محسوس على شيء ماديّ محسوس فهو كمن يقيس الهواء على الماء .

ثانياً : أن الصنعة تقوم على التجربة والملاحظة وتظهر النتائج بعد استكمال مقوماتها ، بخلاف الدين الذي لا يقوم على ذلك ولا تظهر نتائجه في هذه الحياة الدنيا .

ثالثاً : يلزم من هذا القياس أن يكون الإنسان في هذا الزّمن صادق التّدين خالص التّوحيد ، لأنّ الصنعة قد بلغت مبلغاً عالياً من التّطوّر ، والواقع خلاف ذلك فإنّ الإنسان أخط ما يكون من التّاحية الدّينية ، إذ الإلحاد متفشّ في أكثر بقاع العالم .

كما يلزم منه أن لا يوجد شرك في هذا الزّمن ، والواقع خلاف ذلك ، حيث الشرك متفشّ في الشرق والغرب .

(١) انظر : كتاب « الله جلّ جلاله » للعقاد ص ( ٧ ، ٢٧ ) .

أما زعمهم الاستدلال على قولهم بالحفريات ومخلفات الأمم السابقة .  
 فيقال : إن هذه الحفريات ناقصة ، فلا دلالة فيها على ما ذكروا سوى  
 التخمين ومحاولة الربط بين أمور متباعدة ، وغاية ما تدلُّ عليه الحفريات  
 والآثار أن الأمم السابقة وقعت في الشرك ، وهذا لا ننكره بل القرآن والسنة  
 نصًا على ذلك ويبيّنه ، أما عبادة الإنسان الأول وعقيدته فلا يمكن معرفتها من  
 خلال الآثار حتى يعثروا على الإنسان الأول ويجدوا آثارًا تدلُّ على عقيدته  
 وعبادته .

ثم إن المؤكّد أن الأمم تتقلّب في عباداتها ، فتنقل من التوحيد إلى الشرك ، ومن  
 الشرك إلى التوحيد ، فمثلًا أهل مكة كانوا على التوحيد دين إسماعيل بن إبراهيم  
 الخليل عليهما السلام ، ثم وقعوا في الشرك ، ثم عادوا إلى التوحيد بدعوة سيدنا  
 محمد ﷺ ، فمعرفة عبادة أمة من الأمم لا يعني أنها لم تعرف سوى هذه العبادة ،  
 بل ذلك يعني أنها كانت على هذه العبادة في تلك الفترة فقط .

وبهذا يظهر جليًا واضحًا فساد هذا القول ، وأن ما استدّلوا به ليس إلا  
 تخريصات وتوهّمات ، لا تقوم في وجه الحقّ الواضح البين وهو :

أن الإنسان أول ما عرف التوحيد ، ثم بدأ بالانحراف فتدرّج أمره حتى وقع  
 في الشرك ، وذلك لأن الإنسان الأول هو آدم عليه السلام كان نبيًا يعبد الله  
 وحده لا شريك له ، وعلم أبناءه التوحيد إلى أن وقع بنو آدم في الشرك بعده  
 بأزمان - وهذا يقرب به ويقول به كُلم من يؤمن بأن الله هو الخالق ، وكُلم من  
 يؤمن بالأديان السماوية الثلاثة الإسلام والنصرانية واليهودية إلا من تابع قول  
 الملحدين منهم .

ومن الأدلة زيادة على هذا : قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [ البقرة : ٢١٣ ] .

قال ابن عباس رضي الله عنه فيما روى عنه ابن جرير بسنده : ( كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق فاختلَفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ) (١) .

ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَأَخْتَلَفُوا ﴾ الآية [ البقرة : ٢١٣ ] .

ويؤيده أيضا قوله عز وجل في سورة يونس : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَأَخْتَلَفُوا ﴾ [ يونس : ١٩ ] .

فهذا ينص على أن بني آدم عبدوا الله عز وجل فترة من الزمن وهي عشرة قرون (٢) كما يذكر ابن عباس رضي الله عنه ، ثم أنهم انحرفوا عن هذا النهج القويم فبعث الله إليهم الرسل ليردوهم إلى التوحيد .

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه يُبين لنا كيف بدأ وقوع بني آدم في الشرك . فقد أخرج البخاري بسنده عنه أنه قال في معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [ نوح : ٢٣ ] ، قال : « هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون

(١) تفسير ابن جرير ( ٢ / ٣٣٤ ) .

(٢) يلاحظ أن القرن لا يعني بالتأكيد مائة سنة كما هو عليه الحال في تعارف الناس الآن فقد يعني

ذلك الجيل كما في الحديث ( خير القرون قرني ... ) .

إليها أنصبا ، وستوها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تعبد ، حتى إذا هلك أولئك  
وتُسيي العلمُ عُبدتْ» (١) .

فهذا كان مبدأ وقوع بني آدم في الشرك وانحرافهم عن توحيد الله عز وجل  
ولا يعني استدلالنا هذا أن هذا الأمر لم يثبت إلا عن طريق الوحي - وإن كان  
كافياً في هذا - بل إن هذا القول أثبتته علماء ، في الآثار وباحثون في الأديان  
من الغربيين وغيرهم //

يقول الباحث « آدمسون هيوبل » المتخصص في دراسة الملل البدائية : « لقد  
مضى ذلك العهد الذي كان يتهم الرجل القديم بأنه غير قادر على التفكير فيما  
يتعلق بالذات المقدسة أو في الله العظيم ، ولقد أخطأ « تيلور » حيث جعل  
التفكير الديني الموحد نتيجة للتقدم الحضاري والشمو المعرفي ، وجعل ذلك  
نتيجة لتطور بدأ من عبادة الأرواح والأشباح ثم التعدد ثم أخيراً العثور على  
فكرة التوحيد » .

ويقول الباحث « اندري لانج » من علماء القرن الماضي : « إن الناس في  
استراليا وأفريقيا والهند لم ينشأ اعتقادهم في الله العظيم على أساس من  
الاعتقاد المسيحي ، وقد أكد هذا الرأي العالم الاسترالي « وليم سميث »  
حيث ذكر في كتابه « أسس فكرة التوحيد » مجموعة من البراهين والأدلة  
جمعتها من عدة مناطق واتجاهات تؤكد أن أول تعبد مارسه الإنسان كان تجاه  
الله الواحد العظيم » .

ويقول الدكتور الحاج « أورانج كاي » من علماء الملايو في أندونيسيا : « عندنا

(١) انظر : صحيح البخاري مع الفتح ( ٦٦٧ / ٨ ) .



في بلاد أرخبيل الملايو دليلٌ أكيد على أن أهل ديارنا هذه كانوا يعبدون الله الواحد ، وذلك قبل أن يدخل الإسلام إلى هذه الديار ، وقبل أن تدخل النصرانية .

وفي عقيدة جزيرة كلمنتان باندونيسيا لوثة من الهندوسية ورائحة من الإسلام ، مع أن التوحيد كعبادة لأهل هذه الديار كان هو الأصل قبل وصول الهندوسية أو الإسلام إليها .

وإذا رجعنا إلى اللغة الدارجة لأهل هذه الديار قبل استخدام اللغة السانسكريتية أو قبل هجرة الهندوسية أو دخول الإسلام تأكدنا من أن التصور الاعتقادي لأجدادنا حسب النطق والتعبير الموروث هو أن الله في عقيدتهم واحد لا شريك له (١) .

○○○○

(١) كتاب التفكير الديني في العالم قبل الإسلام - ص ( ٢٨ - ٣٠ ) بتصرف .

## حصر ملل الكفر

هل ملل الكفر محصورة؟

في هذه المسألة قولان لأهل العلم.

القول الأول: أنها غير محصورة، بل هي ملل مختلفة.

قال ابن قدامة: لم يسمع عن أحمد تصريح بذكر أقسام الملل، بل يحتمل كلام الإمام أن الكفر ملل كثيرة لا حصر لها، فتكون المجوسية ملة، وعبادة الأوثان ملة، وعباد الشمس ملة، فلا يرث بعضهم بعضاً.

روى ذلك عن علي، وبه قال الزهري، وربيعه، وبعض فقهاء المدينة، وأهل البصرة، وإسحاق.

قال ابن قدامة: وهو أصح الأقوال إن شاء الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: "لا يتوارث أهل ملتين شتى"<sup>(١)</sup>.

لأن كل فريقين منهم لا موالاة بينهم ولا اتفاق في دين فلم يرث بعضهم بعضاً كالمسلمين والكفار، ولأنه روي عن علي ولم يعرف له مخالف من الصحابة فيكون إجماعاً<sup>(٢)</sup>.

القول الثاني: أن ملل الكفر محصورة بثلاثة أقسام.

(١) وهو في سنن الدارمي من قول عمر رضي الله عنه (١/٧٦٦).

(٢) انظر: المغني (٩/١٥٦-١٥٧)، وأحكام أهل الذمة لابن القيم (٢/٤٤٦).

جاء عن القاضي أبي يعلى حصر ملل الناس في ثلاث، حيث قال:  
الكفر ثلاث ملل:

١- اليهودية.

٢- النصرانية.

٣- دين من عداهم. لأن من عداهم يجمعهم أنهم لا كتاب لهم.

وهذا قول شريح وعطاء، وعمر بن عبد العزيز، والضحاك، والحكم،  
والثوري، والليث، وشريك، ومغيرة الضبي وابن أبي ليلى وغيرهم.

هذا، والمسألة مبسوسة في كتب الفقه، وتبين ثمرة الخلاف في مسألة  
التوارث، فإذا اعتبر من عدا اليهود والنصارى من الكفرة ملة واحدة فيرث  
بعضهم بعضاً، وإذا اعتبروا مللاً عباد البقر ملة، وعباد الشمس ملة، فلا  
توارث بين أهل ملتين<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: المغنى لابن قدامة (٩/١٥٤-١٥٨).

### ثانياً ، تقسيم الأديان

تنقسم الأديان التي يدين بها البشر باعتبار النظر في المعبود إلى قسمين :  
القسم الأول : أديان تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له .  
وهي في الدرجة الأولى الإسلام ، ثم يليه اليهودية ، ثم النصرانية التي واقع  
ديانتها المحرفة الشرك إلا أنها تزعم عبادة الله ذو الثلاثة أقانيم - كما سيأتي  
تفصيل ذلك .

القسم الثاني : أديان وثنية شركية تدعو إلى عبادة غير الله عز وجل .  
وهي : الهندوكية والبوذية وغيرها من الشوكيات القديمة والحديثة .

كما تنقسم باعتبار المصدر في الأصل إلى قسمين أيضا :  
١- أديان سماوية ، وهي : الإسلام واليهودية والنصرانية .  
٢- وأديان وضعية ، وهي : سائر الأديان الشركية .

○○○○

- هذا هو التقسيم المشهور عند المعاصرين  
- وأما التقسيم عند المتقدمين فعبروا عنه دفعيهما  
١- أهل الديانات والملا - وهم الملوك واليهود والنصارى  
٢- أهل الأوثان والنحل : وهم أصحاب الأوثان الوثنية

## ثالثاً : بُعِثَ التَّدِينُ

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا ﴾ [ النحل : ٣٦ ] .  
وقال عز وجل أيضاً : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [ فاطر : ٢٤ ] .  
قال ابن كثير رحمه الله عند الآية الأولى : « وبعث في كل أمة أي من كل  
قرن وطائفة رسولا ... » .

ثم قال : « ... فلم يزل تعالى يُرْسِلُ إلى النَّاسِ الرُّسُلَ بِذَلِكَ مِنْذُ حُدُوثِ الشُّرْكِ فِي بَنِي آدَمَ فِي قَوْمِ نُوحٍ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ » (١) .  
فهذا فيه دلالة واضحة على أَنَّ البَشَرَ مَا أَنْفَكُوا عَنْ رُسُلِ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَشْرَعُونَ لَهُمُ الشَّرَائِعَ الَّتِي يَتَّبِعُونَ لِلَّهِ بِهَا . كُلَّمَا انْدَرَسَتْ مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ ، وانطمست أنواره في نفوسهم .

وذلك يعني أَنَّ التَّجْمَعَاتِ البَشَرِيَّةَ لَمْ تَخُلْ مِنْ دِينٍ تَتَدَيَّنُ بِهِ وَتَضْبِطُ كَثِيرًا مِنْ نَوَاحِي حَيَاتِهَا وَفَقَهُ .

وهذا ما أكدته أيضًا علم الآثار والبحوث الاجتماعية في التجمعات البشرية ، إذ يصرِّح كثيرٌ من ذوي هذه الاختصاصات : أَنَّ الجَمَاعَاتِ البَشَرِيَّةَ القَدِيمَةَ والحديثه ، المتحضرة وغير المتحضرة كان لها دين تتدبَّنُ به \

يقول هنري برجسون (٢) : لَقَدْ وُجِدَتْ وَتَوَجَّدَتْ جَمَاعَاتٌ إِنْسَانِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ عُلُومِ

(١) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٥٢٢ ) .

(٢) هو فيلسوف يهودي الأصل وشاع أنه اعتنق النصرانية في أخريات حياته ولكن فلسفته كلها تدلُّ على أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا ذَا دِينٍ مَطْلَقًا ، وَأَمَّا كَانَ دَهْرًا يَرَى الحَيَاةَ قُوَّةَ مُنْدَفِعَةٍ تَحْبِطُ عَجَبُ عَشَوَاءَ . انظر حاشية المتن ص ١٤٣ .

وفنون وفلسفات ، ولكن لم توجد جماعة بغير ديانة (١) .

فهذه الدلالات المؤكدة ، والحقيقة التي لا تقبل الجدل في أن النزعة الدينية متعمقة في الإنسان ومغروزة فيه تجعل الباحث والتأخر في ذلك يتساءل عن الباعث على هذا التدنن ما هو ، مع أن الدين ليس من الماديات ، ولا من الشهوات التي تتعلق بها النفوس ، بل الدين له تبعات ، ولوازم تجعل الإنسان في كثير من الأحيان يذلل دمه من أجله فضلاً عن ماله ووقته وعواطفه ، ويتحكم في كثير من تصرفات الإنسان وعلاقاته . فكثير في بيان الباعث القليل والقال والاستنتاجات ، والتخمينات ، وإليك بعض هذه الأقوال وهي كلها لغير المسلمين .

فقال بعضهم : إن الدافع إلى التدنن الخوف من الطبيعة حوله بما فيها من برق ورعد وزلازل وبراكين وحيوانات متوحشة ، جعلت الإنسان في الأزمان المتقدمة وهو الضعيف الذي لا حول له ولا طول مع هذه الأحوال المتغيرة حوله يبحث عن قوة غيبية لها سيطرة وتأثير في هذه الطبيعة حوله ، ولها قدرة على حمايته ، وحفظه فأله وعبد ما يرى أنه أقوى ، وأقدر على حمايته مما حوله من المخلوقات ، كالشمس ، أو القمر أو البحر ونحو ذلك (٢) .

وقال بعضهم وهو « ماكس ميللر » (٣) إن العقل هو الباعث على التدنن ،

(١) تقلا عن كتاب « الدين » د / محمد دراز ص ٨٣ وانظر الإنسان في ظل الأديان / د . محمد نجيب ص ٢٥ .

(٢) هنا قول الإنجليزي جيفونس في كتابه « المدخل إلى تاريخ الديانات » تقلا عن كتاب الدين د . محمد دراز ص ١٢٥ .

(٣) هو لاثاني من علماء اللغات ومن الدارسين المتمقنين في دراسة الأساطير .

بعض الأقوال التي ذكرها في بعض الأديان عند المحققين

وذلك أن العقل ميزة الإنسان عن الحيوان ، وهو باعث على النظر والتفكير في هذه المخلوقات ، والإعجاب بها وتعظيمها ، ومن هنا أخذ العقل يفكر فيما وراء الطبيعة ، وأداه عقله مع اللغة المستخدمة في الحديث عن الجمادات<sup>(١)</sup> إلى صبغها بصبغة الأحياء ذوات الأرواح ، مما جعله يعبدها ويتخذها إلهًا<sup>(٢)</sup> .

وهناك قول ثالث في الباعث قال به « دور كايم » الفرنسي<sup>(٣)</sup> وهو أن الحاجة الاجتماعية هي الباعث على التدين ، وذلك أن المجتمعات البشرية تحتاج إلى نظم وقوانين تحفظ الحقوق وتصون الحرمات ، ويؤدي كل إنسان واجبه بمراقبة داخلية ، مما جعل بعض الأقداد وذوى القيادة يتولّد في أذهانهم الدين ، ويثبونه في جماعتهم ، فتقبله الجماعة لحاجتها لذلك<sup>(٤)</sup> .

هذه الأقوال يظهر منها واضحاً ادّعاء أن الدين مصدره الإنسان وأن باعثه أمر من الأمور المتعلقة بالطبيعة حول الإنسان ، أو دوافع داخلية في الإنسان . ولا تحتاج هذه الأقوال إلى كثير عناء في إبطالها وردّها ، إذ أن هذه البواعث المذكورة كثيراً ما تكون غير موجودة ، ومع ذلك يكون التدين ظاهراً واضحاً يصدم دعاة الإلحاد ويهلم تخوضاتهم . ولا يعدو ما ذكر هنا من باعث التدين يحتاج أن يكون تخوضاً وفرضاً باطلاً ، إذ أن الحديث عن باعث التدين إلى سبر أغوار النفس البشرية ، ودراسة تاريخية متعمقة ، تشمل الإنسان الأول ،

(١) المراد أن اللغة تتحدث عن بعض الجمادات وكأنّها لها إرادة وفيها روح كقولهم النهر يجري والشمس تطلع والمطر ينهمر ونحو ذلك .

(٢) انظر « الدين » ص ١١٤ . كتاب « الله جلّ جلاله » للمقاد ص ١٧ .

(٣) هو أميل دوركايم عالم اجتماع فرنسي توفّي ١٩١٧ م . انظر المنجد في الأعلام ص ٢٩٠ .

(٤) انظر « الدين » ص ١٥٠ وكذلك كتاب الإنسان في ظل الأديان ص ٣٩ .

السبب الذي  
الفرسي للفقير  
الأستاذ  
محمد الأديان

وتسير معه سيرًا متأنياً ، كاشفة عن مشاعره وأحاسيسه وتقلباتها حسب الظروف والأحوال التي تحيط به ، إذ أن الدين له أوقات يظهر بها ويتضح جلياً في حياة الإنسان ، وهي أوقات الأزمات والخواف التي يقع فيها الإنسان . كما أن له أوقاتاً يكمن فيها ولا يظهر ، وهي أوقات الرخاء والغنى ، إذ يقع الإنسان فيها فريسة سهلة للغفلة والبعد عن الدين . كما أن الباحث يجب أن يكون في حال بحثه خالياً من المؤثرات البيئية والدينية والثقافية ، وذلك من أجل أن يكون حكمه على الظواهر التي يقع عليها سليماً من المؤثرات الخارجية وأتى للباحث أن يتخلص من ذلك<sup>(١)</sup> . فهذه الأمور تجعل الوصول إلى باعث التدئين الحقيقي من الصعوبة والعسر ما لا يتمكن منه الإنسان .

ونحن المسلمين نعتقد أن الباعث على التدئين : هو الفطرة ، ونعتمد في ذلك على الوحي الإلهي والثور الرباني ، فإن القرآن والسنة نصاً على أن الإنسان خلق مفطوراً على الإقرار بالخالق والعبودية له والبراءة من الشرك<sup>(٢)</sup> .

يدل على ذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٢٠] . وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ \* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢ ، ١٧٣] .

(١) انظر في الرد على هذه الشخصيات كتاب الدين من ١١٤ - ١٦٤ .

(٢) أكثر الشلف على أن المراد بالفطرة الإسلام . انظر فتح الباري ( ٣ / ٢٤٨ ) .



فهذه الآية تشهد للآية قبلها ، وتبين كيف جعل الله ذلك في فطر بني آدم ، وأنه أخرجهم من أصلاب آبائهم وأخذ عليهم بذلك العهد والميثاق .  
فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله تعالى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : « لو كانت لك الدنيا وما فيها أكننت مفتديًا بها ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهونَ من هذا وأنت في صُلبِ آدم : أن لا تُشركَ ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك » (١) .

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا قال : « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذريرة ذراها فشرهم بين يديه كالذر ، ثم كلمهم قبلًا قال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ... ﴾ الآية [ الأعراف : ١٧٢ ] (٢) .

ومن الأدلة الدالة على أن الإنسان مفطورٌ على الدين الحق حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جذعاء » (٣) .

وحديث عياض بن حمار المجاشعي ، رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ

(١) خ ك الأنبياء ب ٢ (٤ / ١٠٦) م . ك المناقنين ب ١٠ (٤ / ٢١٦٠) .

(٢) مسند أحمد (١ / ٢٧٢) وذكر ابن كثير في تفسيره (٢ / ٢٤١) روايات عديدة في هذا المعنى ورجح وقفها على ابن عباس رضي الله عنه .

(٣) أخرجه خ الجنائز ب ٩٢ - انظر فتح الباري (٣ / ٢٤٦) .

قال ذات يوم ، في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا : كل مال نحلته عبداً حلالاً ، وإنني خلقت عبادي حنقاً كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم ، وحزمت عليهم ما أخلقت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ... الحديث » (١).

فهذه الأدلة صريحة في بيان أن الإنسان مفلوج على الإقرار بالخالق ، وعبوديته وهذا هو التدين وذلك باعته - ومن أصدق من الله حديثاً .

كما دلت هذه الأدلة أيضاً على أمرين :

أحدهما : أن هذه الفطرة والإقرار بالخالق إلهاً ورباً ، قابلة للتأثر والتغيير ، والانحراف بفعل مؤثرات خارجية ، ولذلك نعتقد بأن السبب في وجود الوثنيات السابقة في الأمم البائدة ، واللاحقة في الأمم الحاضرة هو هذه المؤثرات التي وردت في هذه النصوص

ثانيهما : أن المؤثرات التي تؤدي إلى انحراف الفطرة على ضوء هذه الأدلة ثلاثة ، وهي :

١- الشياطين : وهي المؤثر الخارجي الأصلي والأول في هذا الأمر كما دل على ذلك حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه .

٢- الأبوان : ويقوم المجتمع بدور الأبوين في حال فقدتهما وهذا المؤثر هو أقوى المؤثرات ، وأخطرها لشدة التصاق الأولاد بأبائهم وقوة تأثيرهم عليهم . وقد قدمت الشياطين على الآباء ، لأن الشياطين هي المؤثر الخارجي الأول في انحراف الآباء أنفسهم .

(١) أخرجه م . ك الجنة ب ١٦ ( ٤ / ٢١٩٧ ) حم ( ٤ / ١٦٢ ) .

٣ - الغفلة : وهي المؤثر الثالث في انحراف هذه الفطرة كما دلّت على ذلك آية سورة الأعراف .

ولسائل أن يسأل : ماهي فائدة الفطرة والحال هذه من تأثرها بهذه المؤثرات الخارجية التي تؤدّي إلى انحرافها ، ولا يكاد الإنسان ينفك عن واحد من هذه الصّوارف ، أو كُلهما ؟

والجواب عن ذلك أن يُقال : إنّ حكمة الله اقتضت جعل الفطرة بهذه الحال ليتحقّق الغرض من ابتلاء الإنسان بالخير والشرّ ومن ثمّ جزاؤه على عمله إذ لو كانت الفطرة لا تتأثر بشيء لما وقع الكُفر والانحراف في بني آدم ، بل صاروا غير قابلين للكفر فلا يتحقّق الابتلاء ، ولله الحكمة البالغة .

ومع ذلك فإنّ لهذه الفطرة فوائد عديدة منها :

أولاً : أنّ هذه الفطرة غرزت في نفس البشريّة التّدين والتّعبّد لله عزّ وجلّ فإذا لم يهتد الإنسان إلى الله عزّ وجلّ فإنّه يُعبّد نفسه لأيّ معبود آخر ليشبع في ذلك نهمته إلى التّدين ، وذلك كمن استبّد به الجوع فإنّه إذا لم يجد الطّعام الطّيب الذي يناسبه فإنّه يتناول كلّ ما يمكن أكله ولو كان خبيثاً ليسدّ به جوعته .

وهذا ما يفشّر لنا وجود التّدين عند عموم البشر وقد يكون الدّين والمعبود في كثير من الأحيان باطلاً .

ثانياً : أنّ هذه الفطرة جعلت في جبلّة الإنسان قبول العبودية والانسجام مع لوازمها ، وهذا من الأمور المهمة للإنسان ، لأنّ كلّ ما لا يتفق مع الفطرة فإنّ النّفس تنفر منه ولا تستجيب لمطالباته .

ثالثًا : أن هذه الفطرة مرجحة للحق ، فإذا تعرّف الإنسان على دينين حقّ وباطل ، فإنّ الفطرة تميّز بينهما وتميل إلى الحقّ بل يقع ذلك في قرارة النفس ويتيقن القلب منه ، فإمّا أن يعلن ذلك ويلتزم به ، أو لا يستجيب له بسبب هوى أو خوف ، أو إلف وتقليد ونحو ذلك من الصّوارف عن الحقّ .

رابعًا : أن هذه الفطرة تهب للمهتدي يقينًا بالحقّ الذي هو عليه وإن لم يكن عنده من الأدلة النظرية ما يهبه هذا اليقين ، وهذا يفسّر لنا - والله أعلم - عدم ترك المسلم لدينه رغبة عنه وما ذلك إلا لتناسبه مع فطرته ، فيعطيه ذلك يقينًا بأنّه الحقّ ، وكذلك من اهتدى إلى الإسلام من ذوي الأديان الأخرى الباطلة ، فإنه يتمسك به متمسك الغريق بحبل النجاة ، وما ذلك إلا لتيقنه من أنّ هذا الدّين هو الحقّ ، لتناسبه وانسجامه مع الفطرة . والله أعلم .



## مسائل متعلقة بالموقف من الأديان

\* أولاً: (مناهج دراسة الأديان)

١- (المنهج الإسلامي):

وهو المنطلق من أن الإسلام هو الدين الحق المهيمن على كل دين. قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام).

٢- المناهج المردودة

أ- (المناهج الدينية الأخرى): التي تنطلق من تحكيم دينها الباطل.

ب- (المنهج العقلي الفلسفي): الذي ينطلق من منطلق التحرر من كل الأديان والحكم عليها من خارجها.

ج- (المنهج التفريقي): الذي ينطلق من منطلق الاعتراف بضرورة الدين لكن لا يؤمن بأن الدين الحق واحد وغيره باطل، بل يعتبر كل دين يمثل صورة من الحق.

\* ثانياً: تقسيم الأديان

تقسم الأديان باعتبار مصدرها إلى قسمين:

١- أديان سماوية.

٢- أديان وضعية.

وفي القرآن إشارة إلى أن أديان العالم لا تخرج عن ستة أديان قال الله تعالى: (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة) [سورة الحج/١٧]

\* ثالثاً: الفروق الأساسية بين الأديان السماوية والأديان الوضعية

\*هناك ثلاثة فروق أساسية\*

- ١- الاعتراف بالإله الواحد في الأديان السماوية مقابل التعدد في الأديان الوضعية.
- ٢- الاعتراف بالنبوات في الأديان السماوية مقابل إنكارها في الأديان الوضعية.
- ٣- الإيمان باليوم الآخر في الأديان السماوية مقابل إنكاره في الأديان الوضعية.

## أ - وسطية الإسلام بين الملل:

لقد أكمل الله سبحانه برسالة محمد ﷺ الرسالات، وختم به النبوات، وأنزل عليه القرآن العظيم يهدي للتي هي أقوم، وحفظه سبحانه من التبديل والتغيير.

وعصم الله سبحانه أمة محمد ﷺ أن تجتمع على ضلالة، وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ولهذا كان إجماعهم حجة، كما كان الكتاب والسنة حجة.

وجعلهم الأمة الوسط ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي عدلاً خياراً، ولذلك جعلهم شهداء على الناس، هداهم لما بعث به رسله جميعهم من الدين الذي شرعه لجميع خلقه، ثم خصهم بعد ذلك بما ميزهم به وفضلهم من الشريعة والمنهاج الذي جعله لهم، هذا وتتجلى وسطية أهل الإسلام في أمور كثيرة منها:

أن المسلمين وسط في باب توحيد الله سبحانه (الإلهيات)، فإن اليهود يصفون الله سبحانه بالنقائص ويشبهونه بالمخلوقين، قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: "أنه تعب من الخلق فاستراح يوم السبت" إلى غير ذلك من أقوالهم المنكرة، ومن يراجع تلمودهم (ومن أفضل المراجع عنه بالعربية الكنز المرصود) يرى ما تقشعر منه جلود المؤمنين<sup>(١)</sup>. وكذا من يرجع إلى بعض نصوص

(١) انظر: الكنز المرصود ص (٤٧ - ٥٠).

توراتهم المحرفة يرى إلحادهم في الله وصفاته سبحانه من وصفهم الخالق سبحانه بصفات المخلوقين<sup>(١)</sup>.

وبالمقابل النصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق المختصة به جل وعلا كالربوبية والألوهية فقالوا في بعض البشر وهو نبي الله المسيح عليه السلام أنه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم ويتوب على الخلق ويثيب ويعاقب.

أما المسلمون فقد آمنوا بالله سبحانه وتعالى وعبدوه ووجدوه واعتقدوا أنه ليس كمثله شيء سبحانه، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وهو رب العالمين، وخالق كل شيء له الخلق والأمر وكل ما سواه عباد له فقراء إليه ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ﴿١٣﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿١٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿١٥﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

وكذلك في النبوات، فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله، (وكذا عباده الصالحين) لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا الله هو سبحانه عما يشركون.

ولا جفوا وقصروا كما جفت اليهود الذين بلغ بهم الأمر ووصلت بهم الحان إلى قتل الأنبياء والرسل، فكانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم كذبوا فريقًا وقتلوا فريقًا، وكانوا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس من

(١) انظر: سفر التكوين، الفصل الرابع والعشرون، فقرة (٩، ١٠، ١١، .. إلخ، وانظر: رسالة:

نواقض توحيد الأسماء والصفات..



الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ.

وفي نصوص توراتهم المحرفة وتلمودهم كلمات في حق بعض أنبياء الله ورسله تقشعر من سماعها جلود أهل الإيمان<sup>(١)</sup>.

والخلاصة أن اليهود قتلوهم وكذبوهم، والنصارى عبدوهم.

أما المسلمون فكانوا وسطاً في هذا الشأن، حيث لم يجفوا أو يفرطوا كما صنعت يهود، بل آمنوا برسول الله جميعاً ولم يفرقوا بين أحدٍ من رسله وعزروهم ونصروهم ووقروهم وأحبوهم وأطاعوهم.

كما لم يغلوا ويفرطوا، كما فعلت النصارى فلم يعبدوهم ولم يتخذوهم أرباباً، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

ومن أمثلة وسطية المسلمين في مسألة النبوات اعتقادهم في المسيح عليه السلام فهم لم يغلوا فيه، كما صنعت النصارى حين قالوا: هو الله أو ابن الله، أو

(١) انظر: ما يقوله الإصحاح الثاني عشر من سفر التكوين في حق خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وما يقوله السفر الثاني لصمويل من الأصحاحين: (١١، ١٢) في حق نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، وما يقوله الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين في نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام، وما يفتره الإصحاح الحادي عشر من سفر الملوك الأول عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، وانظر هداية الحيارى ص (١٣١ - ١٣٢).

ثالث ثلاثة، على اختلاف معتقدات فرقهم في ذلك، ولا كفروا به وكذبوه وطعنوا فيه، حتى جعلوه ولد بغية وقالوا على أمه مريم بهتاناً عظيماً كما عملت يهود.

بل قال المسلمون في المسيح هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول وروح منه.

ومن وسطية أهل الإيوان اعتقادهم في شرائع دين الله سبحانه... فلم يجرموا على الله أن ينسخ ما شاء ويمحو ما شاء ويثبت، كما قالت يهود، وذكر الله ذلك عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ مَا وَوَلَّيْتُمْ أَلَيْسَ كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، ويقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَنُؤِمِينَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١].

ولم يفعلوا كفعل النصارى الذين جوزوا لأكابر علمائهم وعبادهم أن ينسخوا ما شاؤوا ويغيروا دين الله. فأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم.

لكن المسلمين قالوا الله الخلق والأمر، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فكما لا يخلق غيره كذلك لا يأمر غيره فهو الخالق المالك المدبر وحده لا شريك له، فله الحكم والأمر سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ تَحَكُّمٌ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، لا معقب لحكمه... وقالوا: سمعنا وأطعنا لكل ما أمر به ربنا وخالقنا.

أما المخلوق ولو كان عظيماً فليس له شيء من ذلك، وليس له أن يبدل أمر الخالق تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ

يَكُونُ لَهُمْ الْحَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ [الأحزاب: ٣٦].

وكذلك المسلمون وسط في أمر الحلال والحرام، فإن اليهود كما قال الله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٦٠]، فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط والأرنب ولا شحم الترب والكليتين، ولا الجدي في لبن أمه<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما.

حتى قيل إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً، والواجب عليهم مائتان وثمانية وأربعون أمراً، وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يؤاكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت.

(١) جاء في التوراة المحرقة (لا ننصح الجدي بلبن أمه). [سفر الخروج ٢٣/١٩، ٣٤/٢٦]. قال ابن القيم: والمراد بذلك أنهم أمروا عقب افتراض الحج إلى بيت المقدس عليهم: أن يستصبحوا معهم إذا حجوا أبقار أغنامهم وأبقار مستغلات أرضهم؛ لأنه كان فرض عليهم قبل ذلك أن تبقى سخولة الغنم والبقر وراء أمها سبعة أيام، وفي اليوم الثامن فصاعداً يصلح أن تكون قرباناً، فأشار في هذا النص بقوله: لا ينضح الجدي بلبن أمه إلى أنهم لا يبالغون في إطالة مكث باكور أولاد البقر والغنم وراء أمها، بل يستصبحون أبقارهم التي قد عبرت سبعة أيام منذ ميلادهم معهم إذا حجوا إلى بيت المقدس ليتخذوا منها القارين، فتوهم المشايخ البله أن الشرع يريد بالإنضاج إنضاج الطبخ في القدر وأنهم نهوا أن يطبخ لحم الجدي باللبن. ولم يكفيهم هذا الغلط في تفسير هذه اللفظة حتى حرموا أكل سائر اللحمان باللبن فألغوا لفظ الجدي وألغوا لفظة أمه وحملوا النص ما لا يحتمله.

(إغاثة اللهفان ٢/٧٥٨-٧٥٩). وانظر: اليهودية، عرفان عبد الحميد ص (١٣٠).

## موقف المسلم من أهل الملل

ألقت في هذه المسألة مصنفات لعلّ من أفضلها: أحكام أهل الملل للخلال، وأحكام أهل الذمة لابن القيم، كما كتب بعض المتأخرين والمعاصرين مصنفات في ذلك منها: جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة لمصطفى الحنفي (لم يطبع)، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام لعبد الكريم زيدان، حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية للمودودي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ليوسف القرضاوي، إرشاد أولي الألباب إلى ما صح من معاملة أهل الكتاب: جمال إسماعيل، وغيرها.

وأشير هنا إلى بعض أحكام التعامل معهم:

١- العمل على دعوتهم إلى الله سبحانه بالوسائل المشروعة وإخراجهم من الظلمات إلى النور، "ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"<sup>(١)</sup>.

٢- الحذر من ظلمهم؛ لأن الظلم حرام مطلقاً، فلا يجوز أن يظلم أحد منهم في نفس أو مال أو عرض، فلا يظلم مثلاً في عرضه بغيبة أو نميمة، ولا في ماله بسرقة أو غش أو خيانة، ولا في بدنه بضرب أو قتل؛ لأن كونه معاهداً أو ذمياً في البلد أو مستأمناً يعصمه<sup>(٢)</sup>.

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٥/٤)، ومسلم رقم (٢٤٠٧).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ومقالات لابن باز (٤/٢٦٦).

٣- يجوز التعامل معه في البيع والشراء والتأجير ونحو ذلك، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه اشترى من الكفار عباد الأوثان، واشترى من اليهود، وهذه معاملة وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام لأهله<sup>(١)</sup>.

٤- ولا يجوز بدوهم بالسلام، ولكن إذا سلم أحدهم يقال له: وعليكم، لقول النبي ﷺ: "لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام"<sup>(٢)</sup>.

وقال: "إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم"<sup>(٣)</sup>. متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

٥- برهم من غير مودة باطنة كالرفق بضعيفهم<sup>(٥)</sup> وسد خلة فقيرهم، وإطعام

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه مسلم، كتاب السلام (ح ٢١٦٧).

(٣) إنما أمر بالاعتصار على قول الرد (وعليكم) لما جاء في حديث عبد الله بن عمر في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم السام عليك فقل (وعليك). البخاري، كتاب الاستئذان، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام (١٣٤/٧)، ومسلم كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٣٩/٢) (ح ٢١٦٤). لكن لو تحقق المسلم أن الذمي قال له "سلام عليكم" فهل له أن يقول: وعليك السلام؟ قال ابن القيم: "الذي تقتضيه الأدلة الشرعية وقواعد الشريعة أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل والله يأمر بالعدل والإحسان، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ فندب إلى الفضل، وأوجب العدل، وأما الأمر بالاعتصار وعليكم فبناء على السبب المذكور. انظر: أحكام أهل الذمة (١/١٩٩).

(٤) انظر: تخرجه في الهامش السابق.

(٥) انظر مثلاً: الموقف الفذ لشيخ الإسلام ابن تيمية تجاه الأسارى من النصارى في الفتاوى

جائعهم وإكساء عاريهم).

ومن ذلك حسن الجوار، فإذا كان جارًا لك تحسن إليه ولا تؤذيه في جواره، وتتصدق عليه إن كان فقيرًا أو تهدي إليه إن كان غنيًا، وتنصح له فيما ينفعه وتحمّل أذاه؛ لأن الجار له حق عظيم، وربما يكون هذا من دواعي إسلامه. قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ تُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

٦- ليس للمسلم مشاركتهم في احتفالهم أو أعيادهم، لكن لا بأس أن يعزيهم في ميتهم إذا رأى المصلحة الشرعية في ذلك بأن يقول جبر الله مصيبتك، أو أحسن لك الخلف بخير. وأمثال ذلك من الكلام الطيب، ولكن لا تقول غفر الله له، أو رحمه الله، أي لا يدعو للميت الكافر، وإنما يدعو للحي بالهداية وبالعرض الصالح ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

٧- يجوز أكل ذبائح أهل الكتاب ما لم يعلم أنها ذبحت على غير الوجه الشرعي كالخنق لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

وهذا ما أجمع عليه أهل العلم أن ذبائح أهل الكتاب حلال.

وفي رواية لمسلم من حديث أنس: "أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ

بشاة مسمومة فأكل منها.. الحديث"<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن باز، المصدر السابق.

(٢) رواه مسلم (ح ٢١٩٠).

٨ - ويجوز نكاح نسائهم عند جمهور أهل العلم؛ لقوله سبحانه: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن قدامة: (ليس بين أهل العلم اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب<sup>(١)</sup>). ولكن ترك نكاحهن والاستغناء عنهن بالمحصنات من المؤمنات أولى وأفضل<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) المغني (٩/٥٤٥).

(٢) ابن باز، المصدر السابق، وينظر: الفروق للقرافي (٣/١٤ - ١٥)، ابن باز: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٤/٢٦٦) وما بعدها، أحكام أهل الذمة لابن القيم (١/١٩١، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧٥، ٤١٩/٢، ٧٢٢، ٦٦٥) وما بعدها، الجلعود: الموالة والمعادة (٢/٧٢٣) وما بعدها.

## موقف الإسلام من أهل الكتاب

### أولا موقف الإسلام منهم من جهة اعتقادهم:

#### أ- حكم أهل الكتاب في الإسلام:

١- مما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الإسلام قد نسخ ما قبله من الأديان والشرائع فلا يقبل من أحد بعده إلا الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم، وأن من لم يؤمن به ويدخل في دينه فهو كافر لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وعلى هذا تضافرت النصوص، قال الله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" [آل عمران:] وقال: "إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم أولئك هم شر البرية" [البينة:] وقال: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" [آل عمران:] وقال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار". (١) وقال صلى الله عليه وسلم: "إن ذات الدين عند الله الحنيفية المسلمة، لا اليهودية ولا النصرانية". (٢)

وقد توافرت النصوص على ذم أهل الكتاب من اليهود والنصارى ونفي الإيمان عنهم ووصفهم بالكفر والضلال والحكم عليهم بالتخليد في النار يوم القيامة، وذلك بسبب تضييعهم ما استحفظوا عليه من الدين وكتمانهم الحق وافترائهم على الله- ما هو ميثوث بيانه في القرآن الكريم، ومن ذلك:

(١) رواه مسلم في صحيحه، ك:الإيمان ٩٣/١.

(٢) رواه الترمذي في سننه(٢٠٤/١٣-عارضه الأحوذى)وقال:حديث حسن صحيح.



قول الله تعالى: "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم، وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين" [المائدة: ٦٨]

وقول الله تعالى: "ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين" [البقرة: ٨٩]

ومن أصول الإسلام: اعتقاد كفرهم من غير شك أو تردد، لأن الشك في ذلك شك في كون دين الإسلام الدين الحق الذي لا حق سواه، وظن بأن أتباع غيره على حق؛ وكفى بذلك مناقضة للإسلام وأصله الذي من شرطه: الدخول فيه بيقين واستيقان أنه الحق وأن ما سواه باطل، من غير شك ولا ريب. وقد عدَّ أئمة الإسلام من نواقض الدين الشك في كفرهم أو تصحيح مذهبهم أو تسويغ اتباع دينهم. (١)

٢- وأما ما جاء في القرآن من الثناء على مؤمني الأديان السابقة؛ من اليهود والنصارى والصابئين؛ في قوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [البقرة: ٦٢]، "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [المائدة: ٦٩]؛ فإن المراد به من آمن منهم وعمل صالحا ممن كان قبل رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أو كان ممن أدركها وآمن بها. وليس فيها تصحيح مذهبهم الباطل بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم أو

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٣٦٨ و ١٢/٣٣٧-٣٣٨ و ٢٧/٤٦٣-٤٦٤، ورسالة نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن مجموع مؤلفاته: المجلد الأول.

قبوله منهم. وعلماء الإسلام متفقون على هذا المعنى؛ وإن اختلفت عباراتهم: بين القول بأن الآيتين منسوختان بقوله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه" [آل عمران: ٨٥]، أو القول بأن ذلك مقيد بالإيمان بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، أو القول بأن حكم الآيتين متناول من كان قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، (١) فإن المعنى واحد وإن تنوعت العبارات، وهو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد. وقد علق ابن كثير على الأقوال في الآيتين بمضمون هذا المعنى؛ وأنه لا تنافي بين هذه الأقوال. (٢)

وكذلك هو القول فيما جاء من وصف أديان الأنبياء بأنها الإسلام وأن أتباعهم على الإسلام؛ فالمراد به ما لم يخرجوا عن دين الله الذي أمروا به، وقد بين الله في القرآن أن من دينهم الذي نصت عليه كتبهم وأخذ الله ميثاق أنبيائهم عليه أن من أدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن بها فليس من المسلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به، وهو الإسلام العام. ولهذا أمرنا أن نقول: "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ولا الضالين" وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون" (٣). وكل من هاتين الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها أحد ضديه، فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقبل فيهم الشرك، والنصارى

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١/٣٢٠-٣٢٤، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣/١٢١-١٢٥، وتفسير ابن سعد، سورة البقرة: ٦٢.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، سورة البقرة: ٦٢، وسورة المائدة: ٦٩.

(٣) رواه أحمد في المسند ٤/٣٧٨، وقال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة. اهـ - مجمع الزوائد ٥/٣٣٧-٣٣٨.

يغلب عليهم الشرك ويقل فيهم الكبر.

فمن خرج عن شريعة موسى قبل النسخ لم يكن مسلماً، ومن لم يدخل في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بعد النسخ لم يكن مسلماً، (١)  
 (فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحاً، كما قال تعالى: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون" [التوبة: ٢٩]). (٢)

### ب- موقف الإسلام من مسألة حرية الاعتقاد

يتضمن مصطلح (حرية الاعتقاد) عدة معاني؛

- ١- منها: ترك الإكراه على الدخول في دين الإسلام.
- ٢- ومنها: الدعوة إلى أن يُنزل غير دين الإسلام منزلة دين الإسلام؛ من الإقرار بغيره من الأديان، والمساواة بين أتباعه وبين أتباع الملل الأخرى؛ من جهة أن لكل الحق في أن يدين بأي دين يرتضيه.. ونحو ذلك. وسأتناول موقف الإسلام من هذين المعنيين على وجه الإيجاز، فأقول:
- ١- إذا كان المراد بضمان الإسلام لحرية الاعتقاد لمن ليسوا من أهله الداخليين فيه، هو ترك إكراههم على الدخول في الإسلام، والاكتفاء بدعوتهم إليه والتي هي أحسن وبيان الحق لهم؛ فلا شك أن هذا هو الذي يقرره الإسلام ويدعو أتباعه إلى العمل به، قال الله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" [البقرة: ٢٥٦] وقال تعالى: "ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: د. ناصر العقل ٢/ ٨٤٩. مكتبة الرشد-الرياض.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: د. عبد العزيز العسكر وزملائه ٣/ ١٢٤. دار العاصمة-الرياض.

الناس حتى يكونوا مؤمنين، وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل  
الرجس على الذين لا يعقلون" [يونس: ٩٩-١٠٠]

وروى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كانت المرأة  
تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو  
النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز  
وجل: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي". (١)

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى "لا إكراه في الدين": أي  
لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلائله  
وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله  
للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله  
قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها  
مقسورا. اهـ - (٢)

وقد كان لعمر رضي الله عنه عبد نصراني، (فقال له: أسلم حتى  
نستعين بك على بعض أمور المسلمين، فإنه لا ينبغي أن نستعين على  
أمرهم بمن ليس منهم، فأبى، فأعتقه؛ وقال: اذهب حيث شئت). اهـ - (٣)

٢- لكن الأمر الذي لا يقره الإسلام لأنه يتناقى مع أصوله؛ هو  
الاعتراف بدينهم وإقرارهم على ما هم عليه؛ بمعنى الرضى ببقائهم عليه،  
فإن الله تعالى لا يرضى لعباده الكفر، وما هم عليه هو عين الكفر والمحاداة  
لله ورسوله. يقول الله تعالى: "إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى

(١) رواه أبو داود في سننه، ك: الجهاد - ب: في الأسير يكره على الإسلام - ح: ٢٦٨٢. وقال أبو داود: المقلاة التي لا

يعيش لها ولد. اهـ - وذكر ابن تيمية أن هذا الحديث ثابت، انظر مجموع الفتاوى ٢٢٤/٣٥

(٢) تفسير القرآن العظيم - سورة البقرة، آية: ٢٥٦.

(٣) ذكره ابن القيم في أحكام أهل الذمة ١/٢١١.

لعباده الكفر، وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور". [الزمر: ٧]

وهل الدعوة إلى الاعتراف بغير دين الإسلام، والرضى بالتدين بغيره، باسم حرية الاعتقاد؛ إلا كدعوة المشركين نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم إلى السكوت عن سب آلهتهم، وعن دعوته الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة غيره من الآلهة الباطلة؟! وقالوا له في دعوتهم هذه: (هي لك، ولنا فيها صلاح)، فأنزل الله تعالى إعلان المفاصلة الدائمة بين دين الإسلام وبين غيره من الأديان في سورة "الكافرون". (١)

ولم يسكت الوحي عن فضح ما عليه اليهود والنصارى من كفر بالله العظيم، وإعلان البراءة مما هم عليه، في وقت كان النبي  $p$  وأصحابه والدولة الإسلامية الناشئة أحوج ما يكونون إليه من تجميع أنصار لهم وحلفاء، وتقليل الأعداء. إلا إن مبدأ الإسلام العظيم ألا يكون ذلك على حساب تجميع أصول دين الإسلام، والتي في مقدمتها البراءة من كل دين سوى دين محمد  $p$ .

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، لابن جرير الطبري ٣٠/٣٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير: تفسير سورة الكافرون.

## ثانياً: موقف الإسلام منهم من جهة معاملتهم:

أ- وضع الإسلام ميزانا لتعامل المسلمين مع أهل الكتاب له كفتان، هما: كفة العدل معهم وترك ظلمهم والإحسان إليهم ومعاملتهم بالمعروف، والكفة الأخرى أن تكون كلمة الله هي العليا ودينه هو المهيمن وأتباعه هم الأعلون، فلا يتخذوا الكفار أولياء يلقون إليهم بمودة القلوب، ولا يعظموا شعائر كفرهم، ولا يرفعوهم وقد وضعهم الله، ولا يمكنوا لهم في بلد الإسلام من الولايات والتصرف الذي يكونون معه في علو وسلطان على المسلمين .

ومن هذا الميزان ينطلق المسلم في تعامله معهم وعلى أساسه يعاملهم. وقد جاء بيان ذلك في نصوص كثيرة؛

١- فأما ما يتعلق بالعدل معهم والنهي عن ظلمهم؛

فقد قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" [المائدة: ٨] وقال تعالى: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين" [الممتحنة: ٩، ٨]

٢- وأما ما يتعلق بالنهي عن إغزازهم وتعظيمهم؛

فقد قال الله تعالى: " يا أيها الذين لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق" [الممتحنة: ١] وقال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء" [المائدة: ٥١]

وقال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً" [آل عمران: ١١٨-١٢٠]

وفي بيان هذا الميزان الذي وضعه الإسلام في التعامل مع أهل الكتاب يقول القرافي - رحمه الله - في كلام نفيس:  
( الفرق التاسع عشر والمائة، بين قاعدة بر أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم:

اعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق " الآية [الممتحنة: ١] فمنع الموالاة والتودد. وقال في الآية الأخرى: " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم " الآية [الممتحنة: ٨] وقال في حق الفريق الآخر: " إنما ينهاكم عن الذين قاتلوكم في الدين " الآية [الممتحنة: ٩]...

فلا بد من الجمع بين هذه النصوص، وأن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملتبسان، فيحتاجان إلى الفرق.

وسر الفرق: أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا، وذمة الله وذمة رسوله ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله وذمة الإسلام...

وعلينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبل ما نهى عنه في الآية وغيرها. ويتضح ذلك بالمثال؛ فأخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا والقيام لهم حينئذ ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها - هذا كله حرام. وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخطينا لهم واسعها ورحبها والسهل منها وتركنا أنفسنا في خسيسها

وحزنها وضيقها، كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس والولد مع الوالد والحقير مع الشريف، فإن هذا ممنوع؛ لما فيه من تعظيم شعائر الكفر وتحقير شعائر الله وشعائر دينه واحتقار أهله. ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من عليه، أو ظهور العلو وسلطان المطالبة، فذلك كله ممنوع، وإن كان في غاية الرفق والأناة أيضا؛ لأن الرفق والأناة في هذا الباب نوع من الرياسة والسيادة وعلو المنزلة في المكارم، فهي درجة رفيعة أوصلناهم إليها، وعظمناهم بسببها... وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادما ولا أجيرا يؤمر عليه وينهى، ولا يكون أحد منهم وكيفا في المحاكمات على المسلمين عند ولاة الأمور؛ فإن ذلك أيضا تثبيت لسلطانهم على ذلك المسلم.

وأما ما أمر به من برهم، من غير مودة باطنية، فالرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة... وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق. فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل، لا على وجه العزة والجلالة منا، ولا على وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم...

وبالجملة: فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهي عنه، فهما قاعدتان: إحداهما محرمة والأخرى مأمور بها، وقد أوضحت لك الفرق بينهما بالبيان والمثل فتأمل ذلك. (أ-١)



وخلصه ما تقدم:

أن موقف المسلم من أتباع الأديان الأخرى يتلخص في أمرين:

١- موقفه من عقائدهم ودياناتهم

وهذا يبينه مثل قوله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"

٢- موقفه من حقوقهم الحياتية والمعيشية

وهذا يبينه مثل قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"

## مفهوم الحوار بين الأديان

الحوار يعني في أصل استعماله المراجعة والمجادلة والمرادة في الكلام،<sup>(١)</sup> وقد أتى استعماله في التنزيل بهذا اللفظ؛ كما في قوله تعالى: "قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً" [الكهف: ٣٧] ولفظ الجدل؛ كما في قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" [النحل: ١٢٥] وقوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" [العنكبوت: ٤٦] وبالجمع بينهما كما في قوله تعالى: "قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما" [المجادلة: ١] وهو في الاصطلاح يعني: التباحث بين طرفين أو أكثر حول موضوع معين وإيداء وجهات النظر فيه بغية التوصل إلى اتفاق.<sup>(٢)</sup>

وهو بهذا المفهوم يعتبر من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول في الفكر السياسي والثقافي المعاصر، كما يقول الدكتور عبد العزيز التويجري،<sup>(٣)</sup> وشاع استعماله على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية، وصار هو التعبير الأكثر استعمالاً في المؤتمرات المنعقدة حول الأديان، التي عُرفت بحوار الأديان أو الحوار بين الأديان، وصار محبذاً لدى المشتغلين في هذا الحقل ومقدماً على غيره من الاصطلاحات.<sup>(٤)</sup>

ولكن لا يزال مفهوم مصطلح الحوار بين الأديان غير محدد المضمون، بحيث يتفق دعائه عليه باختلاف توجهاتهم؛ فإنه وعاء يمكن أن

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: حور- ١١٧/٢، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير،

للفيومي، مادة: ح و ر/ ٨٣، ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، مادة حور/ ٢٦٢.

(٢) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي ١/ ٣٤٧. دار ابن الجوزي-الدمام

(٣) انظر: الحوار والتفاعل الحضاري من منظور إسلامي، د. عبد العزيز التويجري

(٤) انظر: دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي ١/ ٣٣٦ و ٣٤٧.

يحتوي مفاهيم متباينة، وتوجهات متخالفة في المضمون والهدف والموقف، ولذا فلا بد من تحديد المفاهيم التي ينطوي عليها هذا المصطلح، لتحديد الموقف الإسلامي من كل واحد منها.

هناك ثلاثة مفاهيم بارزة يتضمنها مصطلح الحوار بين الأديان، هي: (٥)

١- التقريب بين الأديان: الذي يعني اعتقاد إيمان الطرف الآخر، وإن لم يبلغ الإيمان التام الذي يعتقده هو، والاعتراف بالآخر واحترام عقائده وشعائره ورفع الأحكام المسبقة التي تصفه بالكفر والضلال ونحو ذلك. (٦)

جاء في البيان المجمع عن "علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية" الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٥م: (والكنيسة الكاثوليكية لا تنبذ شيئاً مما هو في هذه الديانات حق ومقدس، وتولي تقديرها باحترام صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم التي وإن اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به وتعلمه؛ تحمل غير مرة قبساً من شعاع الحقيقة التي تثير جميع الناس... ولئن كان قد وقع في غضون الزمن كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع يحرضهم جميعاً على نسيان الماضي والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم في ما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معا من أجل جميع الناس؛ العدالة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية). (٧)

٢- وحدة الأديان: (وهو الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية،

(٥) انظر: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم، اليكسي حوار فسكي، ترجمة د. خلف

الجراد ٢١-٢٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون/سلسلة عالم المعرفة-الكويت، ودعوة التقريب بين الأديان، د.

القاضي ١/٣٣-٣٥٠.

(٦) انظر المرجع نفسه ١/٣٣٥-٣٣٦.

(٧) عن المرجع نفسه ١/٣٣٧.

وصواب جميع العبادات، لأنها جميعاً طرق إلى غاية واحدة<sup>(٨)</sup>. ويتضمن هذا المفهوم الدعوة إلى تذويب الفوارق والسمات الخاصة بكل ديانة، والنظر إلى المعاني والسمات العامة المشتركة بين الأديان. ومن أبرز من يمثل هذا الاتجاه ويدعو إليه في العصر الحاضر روجيه جارودي<sup>(٩)</sup> وهو يطرح نوعين من وحدة الأديان:

إحدهما، وحدة صغرى، وهي ما أطلق عليها مصطلح الإبراهيمية، والتي يهدف من ورائها إلى توحيد الأديان الثلاثة: الإسلام والنصرانية واليهودية، التي تعلن انتماءها إلى أبي الأنبياء إبراهيم (ص)، لتبني مع القرن الحادي والعشرين بوجهٍ إلهي، باسم إيمان وحيد، عبر تنوع العبادات والطقوس<sup>(١٠)</sup>.

والثانية، وحدة كبرى، تشمل جميع الأديان والملل، بما فيها الوثنية والملحدة أيضاً، حيث يقول: (إن الفكرة الأولى لعلاقات المسلمين مع بقية الطوائف الدينية في فكر ورأي النبي، كانت إقامة ما نسميه اليوم "وحدة فيدرالية" للطوائف الدينية... أي على الإيمان بمعناه الأرحب والأوسع. وحتى مع الملحدين ممكن أن يكون لديهم إيمان بالإنسان، وبإمكانهم إقامة طائفة دينية بالمعنى الذي قلناه فيما سبق لتعميق هذا الاحترام الأساسي للإنسان)<sup>(١١)</sup>.

ويقول أحد المتصوفة المعاصرين المتأثرين بفكر ابن عربي، في تبني هذا الاتجاه: (جوهر أديان السماء كلها وما جاءت به من شرائع إبراهيم

(٨) دعوة التقريب بين الأديان، د. أحمد القاضي ١/٣٣٩.

(٩) سيأتي التعريف المفصل به وبدعوته في الفصل الثالث من البحث؛ إن شاء الله.

(١٠) انظر: الإسلام، روجيه جارودي، ترجمة: روجيه أسعد ٤٢. دار عطية-بيروت.

(١١) روجيه جارودي من الإلحاد إلى الإيمان، لقاءات ومحاضرات، رامي كلاوي ١٨١-١٨٢. دار قتيبة-بيروت.

وموسى والمسيح ومحمد وبوذا وغيرهم من الأنبياء والحكماء، ما هو إلا نقل الإنسان وتطويره من السيء إلى الحسن ثم الأحسن، من الجهل إلى العلم، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الظلم إلى العدالة والتراحم والمحبة)، ويضرب مثل الاختلاف بين الإسلام وسائر الأديان بمثل (الزهور المتنوعة الألوان، التي إذا اجتمعت في باقة متناسقة بهرت العيون وهزت الشعور). (١٢)

٣- التعايش: الذي يهدف إلى تحسين مستوى العلاقة المعيشية بين الطوائف والملل، ويعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء والاقتصاد والسلام. ومن خلال ما تقدم ذكره من بيان موقف الإسلام من الأديان السابقة ومن أتباعها؛ يتبين لنا:

أن مفهوم التقريب بين الأديان، ومفهوم وحدة الأديان، مما يتناقض في جملته وتفصيله مع دين الإسلام، ويعتبر القول بذلك وإقراره -في حقيقته- كفراً بالله وبدينه ونبيه محمد P.

وأما مفهوم التعايش، فإنه مما تفرضه طبيعة الاجتماع البشري وحاجاته الفطرية المتنوعة والمختلفة. والدخول في الحوار بين الأديان بهذا المفهوم لا مانع منه؛ بحسب ما تقتضيه السياسة الشرعية لمصلحة الأمة الإسلامية. وقد عقد النبي P مع اليهود حين قدم المدينة تحالفاً، وفي غزوة خيبر، وكتب مع المشركين صلح الحديبية..

لكن يبقى التنبيه إلى أن مفهوم التعايش قد يستعمل أحياناً ويراد به ما يراد من مفهوم التقريب أو الوحدة، فلا بد فيه من التبيين والاستفصال للأمر المجمل، وتحديد موقف الإسلام بشكل واضح، والحدود التي

(١٢) الدعاة والدعوة الإسلامية المعاصرة المنطلقة من مساجد دمشق، د. محمود حسن الحمصي ٧٢٨/٢، ٦٧١. دار الرشيد-دمشق.

يرضى بها الإسلام من التعايش، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك؛ في مبحث:  
موقف الإسلام من معاملة أهل الكتاب.

وخالصة ما تقدم:

أن الدعوة إلى (حوار الأديان) على صورتين:

إحدهما: الحوار من أجل التعايش

لتجنب العنف والاشتراك في الحقوق الحياتية

فهذا المقصد مطلوب وهو ما يكفله الإسلام لأهل الملل والديانات.

والثانية: الحوار من أجل وحدة الأديان أو الاعتراف بباطلها

من أجل تحقيق وحدة بين الأديان وإلغاء الفروق بين دين الإسلام

الحق والأديان الباطلة.

فهذا مقصد مرفوض شرعاً ويناقض أصل الإسلام من الأساس.

وبه تعالى أعلم  
ومهللهم على نبينا محمد

وسلام